

المستطرف [جزء 2 - صفحة 31]

- وبليله على الأرداف منه ... فلم أر مثل
(ذاك الفرع أصلا
وقال آخر
أرخی ثلاثا يوم حمامه ... ذوائبا تعبق منها)
(الغوال
فقلت والقصد ذؤاباتہ ... واسهرى في)
(ذي الليالي الطوال
وقال آخر
بدت ثريا قرطها وشعرها ... متصل)
(بكعبها كما ترى
يا عجا لشعرها لما ابتدى ... من الثريا)
(فانتهى إلى الثرى
وقال ابن المعتز
توارت عن الواشي بليل ذوائب ... لها من)
(محيا واضح تحته فجر
يغطي عليها شعرها بظلامه ... وفي)
(الليلة الظلماء يفتقد البدر
ومما قيل في الأصداع
قال ابن المعتز
ريم يتيه بحسن صورته ... عبث النعاس)
(بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من)

(ورد وجنته
وقال العادلي
وعهدي بالعقارب حين تشتو ... يخفف)
(لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذي ... عقارب)
(صدغها تزداد شرا
وقال آخر
وما ضره نار بخديه ألهبت ... ولكن بها)
(قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوي ... وأمواج)
(ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وإنما ...)
(لواحظه تسقى وقلبي يشرب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 32]

وقال آخر
حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا ...)
(واحيرتي بين محلول ومعقود
وأسكرتني ثناياه وريقته ... هل هذه)
(الخمر من تلك العناقيد
ومما قيل في مدح العذار قال أبو فراس
بن حمدان
يا من يلوم على هواه جهالة ... انظر إلى)

(تلك السوالف تعذر
حسنت و طاب نسيمها فكأنها ... مسك)
(تساقط فوق خد أحمر
وقال محمد بن وهب
صدودك والهوى هتكنا استتاري ...)
(وساعدني البكاء على اشتهاري
وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك)
(لشقوتي وقع اختباري
ولم أخلع عذارا فيك إلا ... لما عاينت من)
(خلع العذار
وقال آخر
ومعذر رقت حواشي خده ... فقلوبنا وجدا
عليه رفاق)
(لم يكس عارضه السواد وإنما ... نفضت)
(عليه سوادها الأحداق
وقال آخر
ومهفهف راقت نصارة وجهه ... والعين)
(تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله ... فبدا العذار)
(دخان ذاك العنبر
وقال آخر
أصبحت سلطان القلوب ملاحه ... وجمال)
(وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة ... بالنصر)
(يقدمها اللواء الأخضر

وقال آخر
يا ذا الذي خط العذار بخده ... خطين هاجا
(لوعة وبلا بلا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 33]

ما صح عندي أن لحظك صارم ... حتى
(حملت بعارضيك حمائلا
وقال آخر
من لا رأى كعبة الحسن التي حرسه ...
(بالنمل حيث مقام النحل في فمه
فلينظر النمل أضحي فوق عارضه ...
(يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه
وقال بدر الدين الدماميني
تحدث ليل عارضه بأني ... سأسلوه)
(وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادي ... حديث الليل
(يمحوه النهار
وقال آخر
وقالوا تسلى فقد شأنه ... عذار أراحك)
(من صده
فقلت وهممتم ولكنني ... خلعت العذار)
(على خده
سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء

على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون
(الناس فيها تراحمًا
حمى ورد خديه حماة عذاره ... فيا حسن)
(ريحان العذار حماحمى
وقال ابن نباتة
وبمهجتي رشاً يميمس قوامه ... فكأنه)
(نشوان من شفغتيه
شغف العذار بخده ورآه قد ... نعست)
(لواحظه فذب عليه
وقال الموصلي
لحديث نبت العارضين حلاوة ... وطلاوة)
(هامت بها العشاق
فإذا نهاني المرء قلت ترفقوا ... فاليكم)
(هذا الحديث يساق
وقال آخر
أصبحت مكسورا بسهم لحاظه ... ومقيدا)
(من صدغه ولسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا ... فخشيت)
(يقتلني وذا من شأنه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 34]

وقال آخر
يا صاح قد حضر المدام ومنيتي ...

(وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني ...)
(واجعل حديثك كله في الكأس
وقال ابن نباته
وضعت سلاح الصبر عنه فما له ... يغازل)
(بالألحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل ... على خده)
(فليتق الله سائله
ومما قيل في ذم العذار قال الشاعر
غدا لما التحى ليلا بهيما ... وكان كأنه)
(قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه ... لمن يقرأ)
(وجاءكم النذير
وقال آخر في ذمه
قلت لأصحابي وقد مر بي ... منتقيا بعد)
(الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا ... ثم انظروا كيف)
(زوال النعم
وقال آخر
ما زال ينتف ريحانا بعارضه ... حتى)
(استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه ... طول)
(الزمان فموسى لا يفارقه
وقال آخر
ما زال يحلف لي بلك ألية ... أن لا يزال)

(مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده ... فتعجبوا)
(لسواد وجه الكاذب
قال ابن المعتز
يا رب إن لم يكن في وصل طمع ... ولم)
(يكن فرج من طول جفوته
فاشفت السقام الذي في لحظه مقلته ...)
(واستر ملاحه خديه بلحيته)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 35]

ومما قيل في الجبين والحواجب
قال خالد الكاتب
لها من ظباء الرمل عين مريضة ... ومن)
(ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الأغصان قد وقامة ... ومن)
(حالك الحبر اسوداد الذوائب
وقال آخر
غزاني الهوى في جيشه وجنوده ... وهب)
(على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها ... وميمنة)
(تقضي بزج الحواجب
وقال آخر
أيا قمرا تبسم عن أقاح ... ويا غصبا يميل)

(مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا ... صباح في)
(صباح في صباح
ومما قيل في العيون
قال الأصمعي ما وصف أحد العيون بمثل
ما وصف أحمد بن الرقاع في قوله
وكأنها دون النساء أعارها ... عينيه أحور)
(من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت ... في)
(جفته سنة وليس بنائم
وقال ابن المعتز
عليم بما تحت العيون من الهوى ... سريع)
(بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائي بعين مريضة ... كما لان)
(متن السيف والحد قاطع
وقال الأختل
ولا تلمم بدار بني كليب ... ولا تقرب لها)
(أبدا رحالا
ترى فيها بوارق مرهفات ... يكدن يكدن)
(بالحرق الرجالا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 36]

وقال أبو فراس وأحسن

وبيض بألحاظ العيون كأنما ... هزرن)
(سيوفا واستلن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى ... فغادرن)
(قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا والتقين أهلة ... ومسن)
(غصونا والتفتن جاذرا
وقال آخر
ومريض جفن ليس يصرف طرفه ... نحو)
(امرئ إلا رماه بحتفه
قد قلت إذ أبصرته متمايلا ... والردف)
(يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه ... سلم فؤاد)
(محبه من طرفه
وقال أبو هتان
أخو دنف رمته فاقصدته ... سهام من)
(جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورار ... بهن ولا)
(سوى الأهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى ... سقيما لا)
(يموت ولا يعيش
كئيبا إن ترحل عنه جيش ... من البلوى)
(أناخ به جيوش
وقال آخر
وجاؤا إليه بالتعاون والرقى ... فصبوا)
(عليه الماء من شدة النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة ... ولو
(أنصفوا قالوا به أعين الأنس)
وقال عز الدين الموصلي
لها عين لها غزو وغزل ... مكحلة ولي
(عين تباكت)
وحاكت في فعائلها المواضي ... فيا لك
(مقلة غزلت وحاكت)
وقال برهان الدين القيراطي
شبه السيف والسنان بعيني ... من لقتلي
(بين الأنام استحلا)
فأتى السيف والسنان وقالوا ... حدثا دون
(ذاك حاشى وكلا)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 37]

وله أيضا
بأبي أهيف المعاطف لدن ... حسد
(الأسمر المثقف قده)
ذو جفون مذ رمت منها كلاما ... كلمتني
(سيوفهن بحده)
وقال بدر الدين بن حبيب
عيناه قد شهدت بأني مخطئ ... وأتت
(بخط عذاره تذكارا)
يا حاكم الحب ائتد في قتلتني ... فالخط

(زور الشهود سكارى
وقال جلال الدين بن خطيب داريا
شهدت جفون معذبي بملالة ... مني وأن)
(وداده تكليف
لكنني إلم أنا عنه لأنه ... خبر رواه الجفن)
(وهو ضعيف
وقال الشيخ عز الدين الموصلي
يا مقلة الحب مهلا ... فقد أخذت بثارك)
(وأنت يا وجنتيه ... لا تحرقيني ببنارك)
وقال ابن الصائغ
لمثلي من لواظها سهام ... لها في)
(القلب فتك أي فتك
إذا رامت تشك به فؤادا ... يموت)
(المستهام بغير شك
وقال الصلاح الصفدي
يا عاذلي على عين محجة ... خف سحر)
(ناظرها فالسحر فيه خفى)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 38]

(وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها ... لا ترم)
(نفسك بين السهم والهدف
وقال آخر
بسهم أجفانه رماني ... فذبت من هجره)

(وبينه)
إن مت ما لي سواء خصم ... لأنه قاتلي)
(بعينه)
وقال آخر
سهام الجفن كم قتلت لنفس ... مبراة)
(من السلوى زكية)
فما أقوى جفونك وهي مرضى ...)
(وأقدرها على قتل البرية)
ومما قيل في الخال
للصلاح الصفدي
بروحي خده المحمر أضحى ... عليه شامه)
(شرط المحبة)
كأن الحسن يعشقه قديما ... فنقطه)
(بدينار وجهه)
ولا بن الصائغ
بروحي أفدي خاله فوق خده ... ومن أنا)
(في الدنيا فأفديه بالمال)
تبارك من أخلى من الشعر خده ...)
(وأسكن كل الحسن في ذلك الخال)
للشيخ جمال الدين بن نباتة
لله خال على خد الحبيب له ... في)
(العاشقين كما شاء الهوى عبث)
أورثته حبه القلب القليل به ... وكان)
(عهدي بأن الخال لا يرث)
وقال آخر

يا سالبا قمر السماء جماله ... ألبستني)
(في الحزن ثوب سمائه)
أحرق قلمي فارتمي بشرارة ... علقت)
(بخدك فانطفت في مائه)
للشيخ تقي الدين بن حجة
قلت للخال إذ بدا ... في نقا جیده السعيد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 39]

(فزت يا عبد قال لي ... أنا عبد لكل جيد)
وقال ابن أيبك
في الجانب الأيمن من خدها ... نقطة)
(مسك اشتهى شمها)
حسبته لما بدا خالها ... وجدته من حسنها)
(عمها)
وقال الحسين بن الضحاک
يا صائد الطير كم ذا ... باللحظ تضني)
(وتسبي)
(نصبت نقطة خال ... فصدت طائر قلبي)
(ومما قيل في الخدود)
قال ابن المعتز
صل بخدي خديك تلق عجيبا ... من معان)
(يحار فيها الضمير)

فبخديك للربيع رياض ... وبخدي للدموع
(غدير)
وقال آخر
ورد الخدود ونرجس اللحظات ... وتصافح
(الشفتين في الخلوات
شيء أسر به وأعلم أنه ... وحياته أحلى
(من اللذات
ومما قيل في الثغور
قال يوسف بن مسعود الصواف
بروحي من ولى فولى بمهجتي ... وولى
(منامي وهو كالوصل شاردا
حمى ثغره مني بسيف لحاظه ... وحتام
(يحمي ثغره وهو بارد
وقال آخر
أنفقت كنز مدامعي في ثغره ... وجمعت
(فيه كل معنى شاردا
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ... فمضى
(وراح تغزلي في البارد

المستطرف [جزء 2 - صفحة 40]

وقال آخر
رأى ثغرا من أهوى عذولي فقال لي ...
(ولم يدر أن اللوم في خده يغري

شغلت بهذا وارتبطت بحسنه ... وأحسن)
(ما كان الرباط على ثغر
وقال ابن ريان
لاحت على مبسمه المشتهى ... ثلاث)
(شامات غدت في الثام
لا تعجبوا إن كثرت حوله ... فالمنهل)
(العذب كثير الزحام
ومما قيل في طيب الريق والنكهة
قال ذو الرمة
أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة ... عروب)
(كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه ... زجاجة)
(خمر فيها مدامها
وقال شهاب الدين الكردي
ذكرت ريح حبيبي ... بشرب راح تعطر)
(وليس ذا بعجب ... فالشيء بالشيء يذكر)
وقال غيره
(رشفت ريقا حلوا ... ولم يكن لي صبر)
(وسوف أحظى بوصل ... فأول الغيث
قطر)
وقال الصلاح الصفدي
(نقل الأراك بأن ريقه ثغره ... من قهوة)
(مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الأراك لأنه ... يرويه نصا)

(عن صحاح الجوهري
وقال آخر
ثلاث تجمعن في ثغرها ... ملاح أدلتها)
(واضحة)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 41]

(فإن قيل ما هي قل لي أقل ... هي)
(الطعم واللون والرائحة
وقال آخر
يا رب ممتنع الوصال محجب ... بستوره)
(كالبدري بين غيومه
دارت مراشفه علي وكأسه ... فسكرت)
(في الحالين من خرطوميه
وقال آخر
أريقا من رضابك أم رحيقا ... رشفت)
(فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن ... جهلت بأن في)
(الأسماء ريقا
ومما قيل في حسن الحديث
قال البحري
ولما التقينا والنقا موعد لنا ... تعجب)
(رائني الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن)

(لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وقال سلم الخاسر
ظللنا فبتنا عند أم محمد ... بيوم ولم)
(نشرت شرابا ولا خمرا
إذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها ... وإن)
(نطقت هاجت لالبابنا سكرًا
وقال ابن الرومي
يمسي ويصبح معرضا فكأنه ... ملك عزيز)
(قاهر سلطانه
ليست أسائته بناقصة له ... در يساقطه)
(إلي لسانه
وما أحسن هذه الأبيات
وهي من طارف الشعر ووافره وناقده
وجيد الكلام وبارع الوصف
وكل حديث الناس إلا حديثها ... رجيع)
(وفيما حدثك الطرائف
جرحن باعناق الأطباء واعين الجآذر ...)
(وارتجت بهن الروادف
رجحن بأرداف ثقال وأسوق ... جزال)
(وأعضاء عليها المطارف

المستطرف [جزء 2 - صفحة 42]

ومما قيل في رقة البشرية

قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء ... فوردا

(خدها فرط الحياء

وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل أرق

(من الهواء

ومدت راحة كالماء منها ... إلى ماء عتيد

(في إناء

فلما قضت وطرا وهمت ... على عجل

(إلى أخذ الرداء

رأت شخص الرقيب على تدان ...

(فاسبلت الظلام على الضياء

فغاب الصبح منها تحت ليل ... وظل الماء

(يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا ... وكان مواصلا

(فطوى الوصلا

وعلمه التدلل كيف هجري ... فليت

(الوصل كان له دلالا

تري من فوق حقويه قضيبا ... إذ ما

(حركته خطاه مالا

إذا كلمته أثرت فيه ... وإن حركته فالخمر

(سالا

وقال بشار

وما ظفرت عيني غداة لقيتها ... بشيء

(سوى أطرافها والمحاجر

كحوراء من حور الجنان غريرة ... يرى)
(وجهه في وجهها كل ناظر
ومنه أخذ أبو نواس قوله
نظرت إلى وجهه نظرة ... فأبصرت)
(وجهي في وجهه
وقال آخر
توهمه قلبي فأصبح خده ... وفيه مكان)
(الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته ... ولم أر)
(جسما قط تجرحه الفكر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 43]

وقال آخر
سقى الله روضا قد تبدى لناظر ... به)
(شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورد ... وكل إناء)
(بالذي فيه ينضح
وقال آخر
وأهيف خده كسي احمرارا ... وحاز)
(الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخلته بالقول جهدي ... لحمرة خده)
(ما بان فيه
ومما قيل في التقبيل

لمظفر الأعمى
قبلته فتلظى جمر وجنته ... وفاح من
(عارضيه العنبر العبق)
وجال بينهما ماء ولا عجب ... لا ينطفئ ذا
(ولا ذا منه يحترق)
وقال آخر
سألته في ثغره قبلة ... فقال ثغري لم
(يجز لثمه)
فها كهافي الخد واقنع بها ... ما قارب
(الشيء له حكمه)
وقال صاحب حماة
(قال الذي تيمني ... قولوا لمن خبلته)
(يروم مني قبلة ... لو مات ما قبلته)
وللشيخ عز الدين الموصلي
كالزرد المنظوم أصداغه ... وخده كالورد
(لما ورد)
بالغت في اللثم وقبلته ... في الخد تقبيلًا
(يفك الزرد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 44]

وقال آخر
رأيت الهلال على وجهه ... فلم أدر أيهما
(أنور)

سوى أن ذاك بعيد المزار ... وهذا قريب)
(لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر ... وما من يغيب)
(كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ... ونفع الحبيب لنا)
(أكثر
وقال ابن صابر
قبلت وجنته فألفت جیده ... خجلا وماس)
(بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره ... عرق)
(يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده ... بتصاعد)
(الزفرات من أنفاسي
وقال آخر
قبلت رجل حبيبي ... فازور واحمر خدا)
(وقال تلثم رجلي ... لقد تنازلت جدا)
(فقلت ما جئت بدعا ... ولا تجاوزت حدا)
(رجل سعت بك نحوي ... حقوقها لا تؤدي)
(ومما قيل في الوجه الحسن
قال ابن نباتة
إنسية في مثال الجن تحسبها ... شمساً)
(بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها ...)
(فالوجه للشمس والعينان للريم
وقال عبد الله بن أبي خبيص

(تصد من غير علة ... بالعز أضحت مذلة)
(كأنها حين تدنو ... شمس عليها مظلة)
(وأن أضاءت بليل ... تفوق نور الأهله)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 45]

وقال آخر
أقسم بالله وآياته ... ما نظرت عيني إلى
(مثله)

ولا بدا وجهه طالعا ... الا سألت الله من
(فضله)

وقال آخر
أقيمي مكان البدر إن أفل البدر ...)
(وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر)
(ففبك من الشمس المنيرة نورها ...)
(وليس لها منك التبسم والثغر)

وقال عمر بن أبي ربيعة
ذات حسن إن تغب شمس الضحى ... فلنا
(من وجهها عنها خلف)

أجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم)
(في سوى هذا اختلف)
أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده إلى المدح
فقال

لو أن إجماعنا في فضل سؤدده ... في)

(الدين لم يختلف في الأمة اثنان
وقال آخر
يا مفردا في الحسن والشكل ... من دل)
(عينك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره ...)
(والشمس من نورك تستملي
وقال آخر
ففي أربع مني حلت منك أربع ... فما أنا)
(أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي ...)
(أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال
هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة
فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة ...)
(فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي ...)
(ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي
وقال ابن نباتة
أيها العاذل الغبي تأمل ... من غدا في)
(صفاته القلب ذائب

وتعجب لطرة وجبين ... إن في الليل
(والنهار عجائب)
وقال محمود المخرومي
رأيتك في الشمس المنيرة غدوة ...
(فكنت على عيني أبهى من الشمس
لأنك تزهو إن بدا الليل بهجة ... وشمس)
(الضحي ليست تضيء إذا تمنى
وقال آخر
إذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها ...
(وتكفيك فقد البدر إن غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها ... ووالله)
(ما من ريقها حسبك الخمر
ومما قيل في البنان المخضب قال ابن
الرومي
وقفت وقفة بباب الطاق ... ظبية من
(مخدرات العراق
بنت سبع وأربع وثلاث ... أسرت قلب)
(صبها المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت ... أنا من)
(لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان ... قد صبغناه من)
(دم العشاق
وقال الراضي بالله
قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها ... في)
(خدها وقد اعتلقت خطابها)

فظننت أن بنانها من فضة ... قطفت)
(بنور يفسج عنابها
وقال آخر
لما اعتنقنا للوداع وأعربت ... عبراتنا عنا)
(بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر ... وجمعن بين)
(بنفسج وشقائق
وقال آخر
ولما تلاقينا رأيت بنانها ... مخضبة تحكى)
(عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا ... يكون)
(جزاء المستهام المنيم
فقال وأذكت في الحشى لاعج الجوى ...)
(مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته ... بكفي)
(فاحمرت بناني من دمي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 47]

حذف حذف حذف حذف حذف

وقال آخر
دنوت عشية التوديع مني ... ولي عينان)
(بالدم تجريان

فلم يمسحن إكراما جفوني ... ولكن رمن)
(تخضيب البنان
ومما قيل في النحور
قال دعبل
أتاح لك الهوى بيضا حسانا ... تباهى)
(بالعيون وبالنحور
نظرت إلى النحور فكدت تقضي ... فكيف)
(إذا نظرت إلى الحضور
ومما قيل في نعت النهود
قال العباس بن الأحنف
والله لو أن القلوب كقلبها ... ما رق للولد)
(الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه ... تفاح)
(صدر ما حوته ناهد
وقال آخر
ومحبوبة عند الوداع رأيتها ... تنشف دمعا)
(بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة ... تسيل)
(على الخدين في حسن مسلك
فتحست مجرى الدمع من وجناتها ... بقية)
(طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابلية ... وصدر به)
(نهذ بحق مفكك
وقال عمر بن كلثوم
تراك إذا دخلت على خلاء ... قد امتدت)

(عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا ... حصينا من)
(أكف اللامسينا
وقال آخر
بصدرها كوكبا در كأنهما ... ركنان لم)
(يدنسا من لمس مستلم)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 48]

(صانتها بستور من غلائها ... فالناس)
(في الحل والركنان في الحرم
وقال آخر
صدور فوقهن حقاق عاج ... ودر زانه)
(حسن اتساق
يقول الناظرون إذا رأوه ... أهذا الحلبي)
(من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي ... جعلن من)
(الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب ... سوى منع)
(المحب من العناق
وقال آخر
لقد فتكت عيون الغيد فينا ... ببيض)
(مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود إذا التقينا ... بسمر من)

(استنتها النهود
ومما قيل في الأرداف والخصور
ابن الرومي
وشربت كأس مدامة من كفها ... مقرونة)
(بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أراذفها ... عجا)
(ولكني بكيت لخصرها
الطنبغا المحاربي
ردفه زاد في الثقالة حتى ... أقعد الخصر)
(والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالوا ... فضعيفان)
(يغلبان قويا
وقال آخر
يا خصره كم جفاء ... تبدي وأنت نحيل)
(يا ردفه ملت عني ... ما أنت إلا بخيل)
القيراطي
(بدت روادف بدري ... تحت الحنين لعيني)
(فقلت يا بدر هذا ... حقا خيال لحيني)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 49]

وقال آخر
أسائلها أين الوشاح وقد سرت ... معطلة)
(منه معطرة النشر

فقال وأومت للسوار نحلته ... إلى)
(معصمي لما تلتلق في خصري
وقال آخر
بيض وسمر مقلتاه وقده ... بدر وليل)
(وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الأصم فؤاده ... وأرق)
(من شكوى المتيم خصره
وقال آخر
رخيمات المقال مدلات ... جواعل في)
(الثرى قضبا جذالا
جمعن فخامة وخلوص جيد ... رقدا بعد)
(ذلك واعتدالا
ومما قيل في المعاصم
قال عمر بن أبي ربيعة
حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم ... ورنوا)
(بنجل للقلوب كوالم
حسروا الأكمة عن سواعد فضة ... فكأنما)
(انتصبت متون صوارم
ومما قيل في اعتدال القوام
قال صلاح الدين الصفدي
تقول له الأغصان مذهر عطفه ... أتزعم)
(أن اللين عندك ما ثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه ...)
(لتقضي علي من مال منا إلى الهوى
وقيل ليس لأحد من شعراء العرب في

نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة
مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذي الرمة
حتى كأنه حضري من أهل المدن لا من
أهل الوبر وقال القاضي مجد الدين بن
مكانس

المستطرف [جزء 2 - صفحة 50]

أقول لحبي قم ومل يا معذبي ... كميعة)
(خود غير السكر حالها
ولا تلة عن شيء إذا ما حكيتها ... فقام)
(كغصن البان لينا وما لها
وقال آخر
(ومحكم أعطافه ... في قتل صب ما غوى)
(فاعجب لعادل قده ... في النفس يحكم)
(بالهوى
وقال آخر
ومهفهف عني يميل ولم يمل ... يوما)
(إلى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل إلي يا غصن النقا ... فأجاب)
(كيف وأنت من أهل الهوى
ومما قيل في الساق
قال ذو الرمة
لم أنسه إذ قام يكشف عامدا ... عن)

(ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا إن قام فيه قيامتي ... إن)
(القيامة يوم كشف الساق
وقال آخر
جاءت بساق أبيض أملس ... كلؤلؤ يبدو)
(لعشاقها
وقال ابن منقذ
بدر ولكنه قريب ... ظبي ولكنه أنيس)
(إن لم يكن قده قضيبا فما لأعطافه تميمس)
(ومما قيل في مشي النساء
قال بعضهم
يهزرن للمشي أطرافا مخضبة ... هز)
(الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله ... أيدي الرجال)
(فزاد المتن في اللين)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 51]

وقال آخر
يمشين مشي قطا البطاح تأودا ... قب)
(البطون رواجح الأكفال
فكأنهن إذا أردن زيارة ... يقلعن أرجلهن)
(من أوحال)

ومما قيل في العناق وطيبه
لابن المعتز
ما أقصر الليل على الرافد ... وأهون)
(السقم على العائد
كأنني عانقت ريحانة ... تنفست في ليلها)
(البارد
فلو ترانا في قميص الدجى ... حسبنا)
(في جسد واحد
وقال آخر
وموشح نازعت فضل وشاحه ... وأعرته)
(من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه ... وأمال)
(أعطافا علي ملاحا
وقال ابن المعدل
أقول وجنح الدجى مسبل ... والليل في)
(كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد ... فله ما)
(ضمنا المسجد
أيا غد إن كنت لي محسنا ... فلا تدن من)
(ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصري ... كما ليلة)
(الهجر لا تنفد
وقال آخر
ليل رقيق الطرتين تظلمت ... كواكبه من)
(بدره المتألق

لهونا بغزلان الصريمة تحته ... نميت)
(الهوى ما بين صدر ومرفق

المستطرف [جزء 2 - صفحة 52]

قال ابن المعتز
وكم عناق لنا وكم قبل ... مختلسات حذار)
(مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة ... من)
(النواطير يانع الرطب
وقال ديك الجن)
ومعدولة مهما أمالت أزارها ... فغصن)
(وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وإنها ... لتطلع)
(أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله ... وغصن)
(الهوى غص النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة ... وأنت)
(الهوى أدعى له فأجيب
وقال علي بن الجهم
سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة ... وأدنى)
(فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الخمر)
(فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر
يا ليل دم لي لا أريد براحا ... حسبي بوجه)
(معذبي مصباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه ... خمرا)
(وحسبي خده تفاحا
حسبي بمضحكه إذا استضحكته ...)
(مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد ... وجعلت)
(كفي للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا ... متعانقين)
(فلا نريد براحا

وقال آخر
ولم أنس ضمي للحبيب على رضا ...)
(ورشفي رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لي عند تقبيل خده ... تنقل)
(فلذات الهوى في التنقل
ومما قيل في السمن
قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي
رضي الله عنه يقول ما رأيت سميئا عاقلا
إلا محمد بن الحسن قال الشاعر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 53]

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن ...)

(لكنني أعشق السمر المهازيل
إني امرؤ أركب المهر المضمّر في ... يوم)
ومما قيل (الرهاب وغيري يركب الفيلا
في مدح الألوان والثياب
مدح البياض قال رسول الله البياض نصف
الحسن وكان أبيض أزهر اللون مشربا
بحمرة

قال الشاعر
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم)
(الأنوف من الطراز الأول
ومما قيل في مدح السواد قيل لبعضهم ما
تقول في السواد ؟ قال النور في السواد
أراد بذلك نور العينين في سوادهما وقال
بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم ... لون)
(العوالي ولون المسك والعود
إني امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا ...)
(عندي ولو خلت الدنيا من السود
وقال الحيقطان
لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم ...)
(فإني بسيط الكف والعرض أزهر
وإن سواد اللون ليس بضائري ... إذا كنت)
(يوم الروع بالسيف أخطر
دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون
فقال إنك لنعم الخليفة الأسود فقال

إبراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب
فقال

إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما ... أو
(أسود اللون إني أبيض الخلق)

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل إلى الجد
فأنشد إبراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ... ولا
(بالفتى الأريب الأديب)

إن يكن للسواد فيك نصيب ... فبياض
(الأخلاق منك نصيبي)

وقال آخر

لام العواذل في سوداء فاحمة ... كأنها
(في سواد القلب تمثال)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 54]

وهام في الخال أقوام وما علموا ... أني
(أهيم بشخص كله خال)

وقيل لمدني كيف رغبتم في السواد ؟
فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها

وقال آخر

يكون الخال في خد قبيح ... فيكسوه
(الملاحه والجمالات)

فكيف يلام ذو عشق على من ... يراها

(كلها في الخد خالا

وقال آخر

(فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم ...)

(إني عشقت مليحا كله خال

وقال أبو حاتم المدني ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى ... فإنني)

(معجبا ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية

أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت

الحبشة أنا حبة مسك وأنت عدل ملح وقد

قال الشاعر

(أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها

(سود الكلاب

وقال آخر

(أشبهك المسك وأشبهته ... قائمة في)

(لونه قاعده

(لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة)

(واحدة

ومما قيل في الصفرة

قال الشاعر

(أصفراء كان الهجر منك مزاحا ... ليالي)

(كان الود منك مباحا

(كأن نساء الحي ما دمت فيهم ... قباحا)

(فلما غبت صرن ملاحا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 55]

- وقال آخر
قالوا به صفرة شانت محاسنة ... فقلت
(ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثار من قتلت ... فلست)
(تلقاه إلا خائفا وجلا
ومما قيل في طول اللحية
قيل إن اللحية الطويلة عش البراغيث
ونظر يزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية
عظيمة تلتف على صدره وإذا هو خاضب
فقال له يا هذا إنك من لحيتك في مؤنة
فقال أجل ولذلك أقول
لها درهم للدهن في كل جمعة ... وآخر)
(للحناء ينتدبان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد ... لأصبح في)
(حافاتها الحمنان
وقال إسحاق بن خلف في قصير طويل
اللحية
ماشيت داود فاستضحكت من عجب ...)
(كأنه والد يمشي بمولود
ما طول داود إلا طول لحيته ... يظن داود)
(فيها غير موجود
وقال ابن المقفع

تأملت أسواق العراق فلم أجد ...)
(دكاكينهم إلا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاءهم ... كما)
(نفضت عصف البغال المخاليا
ومما جاء في عظم الخلقة والطول
والقصر قيل خرب القهندر فبرزت منه
جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتشرت
أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها
أربعة أرطال فأتى بها إلى ابن المبارك
فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال
إذا ما تذكرت أجسامهم ... تصاغرت)
(النفس حتى تهون

المستطرف [جزء 2 - صفحة 56]

وأراد ملك الروم أن يباهي أهل الاسلام
فبعث إلى معاوية رجلين أحدهما طويل
والثاني قصير شديد القوة فدعا الطويل
بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس
سراويله ورمى بها إليه فلبسها الطويل
فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع
السراويل فقال
أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل)
(قيس والوفود شهود

وكي لا يقولوا خان قيس وهذه ... ()
(سراويل عاد أحرزتها ثمود
وإلي من القوم اليمانيين سيد ... وما)
(الناس إلا سيد ومسود
ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته
بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد
فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه في
الحالتين وانصرفا مغلوبين
وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي أسر
امراً القيس بن النعمان اللخمي الملك
وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي
طويلا جسيما
فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير
أطلق أبي فسمعه سلمة بن مرة فقال
لقد زعمت بنت امرئ القيس أنني ... ()
(قصير وقد أعيا أباهما قصيرها
ورب طويل قد نزع سلاحه ... وعانقته)
(والخيل تدمى نحورها
وقالوا عظم اللحية يدل على البله
وعرضها على قلة العقل وصغرها على
لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين
دل على الحسد والعين المتوسطة في
حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلف
والمروءة والتي يطول تحديقها تدل على
الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة

وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة
السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على
حمق وهذيان
ومما قيل في القبح والدمامة
أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم
يجد من يرسله معه إلا رجلا وحش الصورة
بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط
دمامته فكتب إلى صاحبه يأتيك بهذا
الكتاب آية على آيات الله تعالى وقدره
فدعه يذهب إلى نار الله وسقره

المستطرف [جزء 2 - صفحة 57]

ومر أبو الأسود الدؤلي بمجلس لبني بشير
فقال بعض فتیانهم كأن وجهه وجه عجز
راحت إلى أهلها بطلاقها
وقال الجاحظ ما أخلني قط إلا امرأة
مرت بي إلى صائغ فقالت له اعمل مثل
هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال
هذه المرأة أرادت أن أعمل صورة شيطان
فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك إلى
لأصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول
الشاعر
لو يمسح الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا

(دون قبيح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه ... وهو)

(العمى في عين كل ملاحظ

ولو أن مرأة جلت تمثاله ... ورآه كان له)

(كأعظم واعظ

وقال الأصمعي رأيت بدوية من أحسن

الناس وجهها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه

أترضين أن تكوني تحت هذا ؟ فقالت يا

هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه

فجعلني ثوابه وأساءت فيما بيني وبين ربي

فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضى الله به

وحج مخنت فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر

فقال يا حبيبي ما أراك أن تبخل بهاذا

الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع

لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت

هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل

قبيح الوجه إلى المتجر فدخل اليمن فلم

ير فيها أحسن منه وجهها فقال

(لم أر وجهها حسنا ... منذ دخلت اليمننا)

(فيا شقاء بلدة ... أحسن من فيها أنا)

وخطب رجل عظيم الأنف امرأة فقال لها

قد عرفت أنني رجل كريم المعاشرة

محتمل المكاره فقالت لا شك في

احتمالك المكماره مع حملك هذا الأنف

أربعين سنة

وقال الشاعر في رجل كبير الأنف
لك وجه وفيه قطعة أنف ... كجدار قد
أدعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن ... جعلوا
نصبه على غير قبله

المستطرف [جزء 2 - صفحة 58]

وقال آخر
لك أنف من أنوف ... أنفت منه الأنوف
أنت في القدس تصلي ... وهو في البيت
يطوف
ومما جاء في الثقلاء
قال مطيع بن إلياس
قلت لعباس أخينا ... يا ثقل الثقلاء
أنت في الصيف سموم ... وجليد في
الشتاء
أنت في الأرض ثقل ... وثقل في
السماء
ومما جاء في الملابس وألوانها والعمائم
ونحوها
قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث)
وقال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند
كل مسجد)

وقال رسول الله " إن الله يحب أن يرى
أثر نعمته على عبده " وقال الرسول "
تعمموا تزدادوا جمالا " وقال الرسول "
العمائم تيجان العرب
وكان الزبير ابن العوام يقاتل يوم بدر
وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة
وعليهم عمائم صفر قد أرخوها
وبعث رسول الله عبد الرحمن بن عوف
إلى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى
إلى رسول الله وعليه عمامة سوداء من
خز فنقضها رسول الله وعممه بيده
وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا
اعتم يا ابن عوف
وبعث ملك الروم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 59]

إلى النبي جبة ديباج فلبسها ثم كساها
عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس
الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له
في ذلك فقال إني أجالس ربي وقيل
المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة
وقيل البس البياض والسواد فان الدهر
هكذا بياض نهار وسواد ليل

ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس
رأيتك في السواد فقلت بدرا ... بدا في
(ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس ... محت)
(بشاعها ضوء النجوم
وقدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر
العراق فباع الجميع إلا السود فشكا إلى
الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد
فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في
المدينة وهما هذان البيتان
قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا)
(فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره ... حتى قعدت)
(له بباب المسجد
قال فشاع الخبر في المدينة إن الدارمي
رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار
الأسود فلم يبق في المدينة مليحة إلا
اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر
ما كان معه رجع الدارمي إلى تعبده وعمد
إلى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في
لابسة الأحمر
وشمس من قضيب في كتيب ... تبتت)
(في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيث ... بوجنتها)
(فهاجت جل ناري

وقال آخر في لابسه ثوب خمري
في ثوبها الخمري قد أقبلت ... بوجنة)
(حمراء كالجمر
فملت سكرًا حين أبصرتها ... لا تنكروا)
(سكري من الخمر
وقال الصنوبري في لابسه أخضر
وجارية أدبتها الشطاره ... ترى الشمس)
(من حسنها مستعاره
بدت في قميص لها أخضر ... كما ستر)
(الورق الجلناره)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 60]

فقلت لها ما اسم هذا اللباس ... فأبدت)
(جوابا لطيف العبارة
شققنا مرائر قوم به ... فنحن نسّميه)
(شق المرارة
وقال حكيم لابنه إياك أن تلبس ما يديم
الملك نظره إليك به واعلم أن الوشي لا
يلبسه إلا الأحمق أو ملك
وعليك بالبياض
وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه
ولباس المترفين السندس لقلّة بقائه
ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه

وقال بعض الأمراء لحاجبه أدخل علي عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله ؟ فقال رأيت يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعا إذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهرة وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الأقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والأزر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفراء أشكل والحمراء أجمل والخضراء أقبل والسوداء أهول والبيضاء أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور وإذا قرب اللون الأحمر إلى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية وإذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شيء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الأعراب رأيت في البصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع

ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه
عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها
ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه
قال الأصمعي رأيت أعرابيا فاستنشدته
فأنشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من
جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 61]

أخي إن الحادثات ... عركنتي عرك الأديم)
لا تنكرن أن قد رأيت ... أخاك في طمري)
عديم)
إن كان أثوابي رثاث ... فإنهن على كريم)
قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله
تعالى
علي ثياب لو تقاس جميعها ... بفلس)
لكان الفلس منهن أكثرا)
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس)
الورى كانت أجل وأكبرا)
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده ... إذا)
كان عضبا حيث وجهه برى)
ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه

فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه ... وفي)
(أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك)
(الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن)
(بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه ... ويحبسه على)
(الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوي ... فلا عار عليه)
(ولان نكير
فإن أك في شراركمو قليلا ... فاني في)
(خياركمو كثير
ويقال كل ما تشتهيهِ نفسك والبس ما
تشتهيهِ الناس وقد نظمه من قال
إن العيون رمتك إذ فاجأتها ... وعليك من)
(مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت ...)
(واجعل لباسك ما اشتهته الناس
وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

**الباب السابع والاربعون في التختم
والحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما
أشبه ذلك**

**ما جاء في التختم عن عائشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله يتختم في
يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم
في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة
والسلام**

**كف الرسالة ليس يخفى حسنها ... وتمام)
وذكر السلامي (حسن الكف لبس الخاتم
أن رسول الله كان يتختم في يمينه
والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله
تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الأموية بذلك
ثم نقله السفاح إلى اليمين فبقي إلى
أيام الرشيد رضي الله تعالى عنه فنقله
إلى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي
رضي الله تعالى عنه عن النبي " تختموا
بخواتيم العقيق فإنه لا يصيب أحدكم غم
ما دام عليه ذلك " وبلغ عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه أن ابنه اشترى فص
خاتم بألف دينار فكتب إليه عزمته عليك إلا
ما بعته خاتمك بألف دينار وجعلتها في
بطن جائع واستعمل خاتما من ورق
وانقش عليه رحم الله امرأ عرف قدر**

نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من
ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبي
نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه
مكتوب
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك
(ربي كان عفوك أعظما)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 63]

حديد صيني عليه أشهد أن لا إله إلا الله
مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص
ويجعل في فمه
قال جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنه
ما افتقرت يد تخطمت بخاتم فيروزج وقيل
الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج
للمال والعقيق لللسنة والحديد الصيني
للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى
أعلم
ذكر ما جاء في الحلوى
قيل إن قرطي مارية بنت ظالم بن وهب
بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان
كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر
قيمتها
وقال محمد بعثني يوسف بن عمر إلى

هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من
كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله
القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار
وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب
فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك
بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم
من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث
معاوية إلى عائشة رضي الله تعالى عنها
طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة
ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي
وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من
سني ملكه زيدت في تاجه خريزة وكان
يقال لها خريزات الملك
ذكر ما جاء في الطيب والتطيب
قال رسول الله " أطيب الطيب المسك "
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
كأنني أنظر إلي وبيض الطيب في مفارق
رسول الله وهو محرم وعن سهل بن سعد
يرفعه " إن في الجنة لمرعى من مسك
مثل مراعي دوابكم هذه " وعن أنس رضي
الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله
فنام فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت
تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم
سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ فقالت هذا
عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب

ريحه الطيب وعن عمر رضي الله تعالى
عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على
العطر إن فاتني ربحه لم يفتني ربحه
وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 64]

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب ... لقد
وأهدى عبد الله (طيبته من يدك الانامل
بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية
فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا
فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها
مالك بن سليمان بن خارجه من أخته هند
بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين
طيبك ؟ فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه
جواريك هو لك مني كلما أردته ثم قالت
والله إنني ما تعلمته إلا من شعرك حيث
تقول
أطيب الطيب عرف أم أبان ... فار مسك)
(بعنبر مسحوق)
قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد
عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ربحه
وعن الحسن ابن زيد الهاشمي عن أبيه

قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما يطلي جسده فإذا مر في الطريق
قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك ؟
وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على
صدغيه كأنها لزقة

وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير
من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي
وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي
الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك
أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية
وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في
العقل

وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا
النرجس ولو في العام مرة فإن في قلب
الانسان حالة لا يزيلها إلا النرجس
وكان الشعبي يقول إذا ورد الورد صدر
البرد

وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم
يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا
لحاهم بالطيب وكان من اختلف في
طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل
ولذلك سميت طيبة وأقول واله ما طابت
طيبة إلا بالقلب الطاهر وما أحسن ما قيل
إذا لم أظب في طيبة عند طيب ... به)

(طيبة طابت فأين أطيب)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 65]

وقيل إن فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصاة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جردان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها وحكي أن العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زيد بحر سرنديب وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند

وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه
نقش الخاتم فإن انطبع فرطب وإلا فلا
ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب
أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما
الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور
يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه
الهواء انعقد كالصمغ الجامدة على
الاشجار وأما الند فمصنوع وهو العود
المستقطر والعنبر واللبان
لو كنت أحمل جمرا حين زرتكم ... لم
(ينكر الكلب إني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني ...)
وكانت (والعنبر الند مشبوب على النار
ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد
وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب
الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب
جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل
أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب
فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى
بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان
يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود
وقال جالينوس المسك يقوي القلب
والعنبر يقوي الدماغ والكافور يقوي الرئة
والعود يقوي المعدة والغالية تحل الزكام
والصندل يحل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 66]

الأورام وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي قال لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل " تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابي ففرطت من الأمير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابي أم لا؟ فقال ما أطيب هذا المثلث ! قال نعم ولكنك ربعتها وقال الأحنف إن شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفي من ريح مسك شممته من الناس إلا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 67]

الباب الثامن والأربعون في الشباب

والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما
أشبه ذلك وفيه فصول
الفصل الأول في الشباب وفضله
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا
أوتي عالما إلا شابا ثم تلا هذه الآية (قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)
وقد أخبر الله تعالى به (ثم أتى يحيى بن
زكريا الحكمة) وقال تعالى (وأتيناه
الحكم صبيا) وقال تعالى (إذ أوى الفتية
إلى الكهف) وقال تعالى (إنهم فتية
أمنوا بربهم) وقال تعالى (وإذ قال
موسى لفتاه) وقال أنس رضي الله
تعالى عنه قبض رسول الله وليس في
رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد
قدم رسول الله أسامة بن زيد على جميع
الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه
وعتاب بن أسيد وناه مكة وبها أكابر قريش
وعبد الله بن عباس على جلالة قدره
وحفظه من العلم
وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة
وأطيب العيش وأوائله كما أن أطيب الثمار
بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند
النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك
قال الشاعر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 68]

أحلى الرجال مع النساء موقعا ... من)
(كان أشبههم بهن خدودا
وما بكت العرب على شيء ما بكت على
الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا
وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة
منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما
جاور الله في جنات خلدته الشباب كما قال
رسول الله " جردا مردا أبناء ثلاثين " وقد
جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع
بسطها

الفصل الثاني في الشيب وفضله
أول من شاب سيدنا إبراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام وفي الخبر أن الله تعالى
يقول " الشيب نوري وأنا أستحي أن
أحرقه بناري " وعن جعفر بن محمد عن
أبيه قال جاء رجلان إلى النبي شيخ وشاب
فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال
" عليه الصلاة والسلام " كبر كبر
وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه
الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي
الله عنه عن النبي أنه قال " يقول الله

تعالى وعزتي وجلالي وفاقه خلقي إلى
أني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في
الإسلام أن أعذبهما " ثم بكى فقيل له ما
يبكيك يا رسول الله ؟ قال أبكي ممن
يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله
وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه
الله على النار

وقال إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه
أسير الله في الأرض تكتب له الحسنات
وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل
فيمن كان قبلكم لا يحتمل حتى يبلغ
ثمانين سنة وقال ابن وهب إن أصغر من
مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته
الانس والجن لحدائة سنه وقال النخعي
كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة على
خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن
عباس رضي الله عنهما رفعه " من أتى
عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على
شره فليتهجز إلى النار " وعن أنس رضي
الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه
الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا
كيف وجدت الدنيا ولدتها ؟ قال كرجل
دخل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 69]

بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم
خرج من الباب الثاني
ويقال أطلع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد
العزير بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم
ينته بشيء الإسلام والقرآن والشيب قال
الشاعر

يا عامر الدنيا على شبيهه ... فيك أعاجيب)
(لمن يجب
ما عذر من يعمر بنيانه ... وعمره منهدم)
(يخرّب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها
ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق
ويقول كيف يميل مثلك للظبا ... وعليك)
(من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كأنه ... ليل)
(يصيح بعارضيه نهار

وقال أبو دلف في بياض اللحية
تكونني هم لبيضاء نابتة ... لها بغضة في)
(مضمر القلب نابتة
ومن عجب أني إذا رمت قصها ... قصصت)
(سواها وهي تضحك نابتة
وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغواني ... بمبلغ)

(شيبهن من الرجال
وقال ابن المعتز
فظللت أطلب وصلها بتذلل ... والشيب)
(يغمزها بأن لا تفعلي
قيل صاح شاب بشيخ أحذب بكم ابتعت هذا
القوس يا عماه ؟ فقال يا بني إني
أعطيتها بغير ثمن ومر رجل أشمط بامرأة
عجيبه في الجمال فقال يا هذه إن كان لك
زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا
فقلت كأنك تخطبني ؟ قال نعم فقلت
إن في عيبا قال وما هو ؟ قالت شيب في
رأسي فثنى عنان دابته فقلت على
رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا
رأيت في رأسي شعرة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 70]

ولكنني أحببت أن أعلمك أنني أكره منك
مثل ما تكره مني فأنشد ويقال إنه لآين
المعتز
رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي ...)
(فأعرضن عني بالخدود النواضر
وقال آخر
سألته قبله يوما وقد نظرت ... شيبني)

- (وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت ومالت وهي قائمة ... لا والذي)
(أوجد الأشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من أرب ...)
(أفي الحياة يكون القطن حشو فمي
وقال آخر
قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت ...)
(كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في ... معادن)
(الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا ...)
(ألمسك للشم والكافور للكفن
وقال آخر
قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ...)
(سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقفت ثم قالت من تعجبها ... تكاثر)
(الغش حتى صار في الشعر
وقال ابن نباتة
تبسم الشيب بوجه الفتى ... يوجب سح)
(الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه ... من ضحك)
(الشيب على ذقنه
وقال ابن المعتز
فما أقبح التفريط في زمن الصبا ...)
(فكيف به والشيب في الرأس شامل)

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر
رأت وضحا في الرأس مني فراعها ...
(فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع ... فيا)
(حسن ليل لاح فيه نجوم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 71]

ويقال في الرجل إذا شاب ليله عسعس
وصبحه تنفس
إذا نازع الشيب الشباب فاصلتا ...
(بسيفيهما فالشيب لا شك غالب
وقال آخر
ألا إن شيب العبد من نقرة القفا ...
(وشيب كرام الناس شيب المفارق
وقال العتبي
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... أو)
(الشباب جنون برؤه الكبر
وقال علي بن ربيع
كبرت ودق العظم مني وعقني ... بني)
(وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الأرض بالعصا ...)
(يقودونني بين البيوت الولائد
وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا ... كما
(يعرى من الورق القضيبي
ونحت على الشباب بدمع عيني ... فما
(نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما ... فاخبره بما
(فعل المشيب
وقال ابن النقيب
وكم كان من عين علي وحافظ ... وكم
(كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبني اطمأنت قلوبهم ... ولم
(يحفظوني واكتفوا بمشيبني
وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله
تعالى ما شبهت الشباب إلا كشي كان في
كمي فسقط
قال الشاعر
شيطان لو بكت الدماء عليهما ... عيناك
(حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد
(الشباب وفرقة الأحباب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 72]

وقال الجاحظ
أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت

(في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس)
(كالجديد من الثياب
ومما جاء في الخضاب
قال " عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم
" وأعجب لنسائكم
وعن أبي عامر الأنصاري رضي الله عنه
رأيت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
يغير بالحناء والكتم
وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب
بالصداع ويزيد في البهاء
تسود أعلاها وتأبى أصولها ... وليس إلى)
(رد الشباب سبيل
وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على
سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت
شعرك فلما رجع إلى مكة اختضب فقالت
امراته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال
ولو دام لي هذا الخضاب حمدته ... وكان)
(بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة ... ولا بد من)
(موت نبيلة أو هرم
وقال آخر
يا خاضب الشيب الذي ... في كل ثالثة)
(يعود)
(إن الخضاب إذا نضا ... فكأنه شيب جديد)

فدع المشيب وما يريد ... فلن يعود كما
(تريد)

وقال محمود الوراق
فما منك الشباب ولست منه ... إذا
(سامتك لحيتك الخضابا)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 73]

الفصل الثالث في العافية والصحة
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله " إليك انتهت الأمانى يا
" صاحب العافية
وعنه أنه قال " أول ما يحاسب به العبد
يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك
وأروك بالماء البارد " ؟ وقال علي رضي
الله تعالى عنه في قوله تعالى (ثم
لتسلئن يومئذ عن النعيم)
هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما يسأل الله
العباد عن الأبدان والأسماع والأبصار فيم
استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن
عينة من تمام النعمة طول الحياة في
الصحة والأمن والسرور وقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر

ما سألت الله إلا العفو والعافية وقال
قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك
بن مروان من وراء الحجرة في مرضه يا
أهل النعم لا تستقلوا شيئاً من النعم مع
العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا
صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن
الرومي

إذا ما كساك الدهر سربال صحة ... ولم
(تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فإنما ... على قدر)
(ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر
بعضهم العافية فقال وأي وطاء وأي عطاء
وقال حكيم إن كان شيء فوق الحياة
فالصحة وإن كان شيء مثل الحياة فالغني
وإن كان شيء فوق الموت فالمرض وإن
كان شيء مثل الموت فالفقر

وقال علي رضي الله تعالى عنه ما
المبتلي الذي اشتد به البلاء بأحوج إلى
الدعاء من المعافي الذي لا يأمن البلاء
وقيل إن فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء
في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين
ههنا ؟ اذهبي معي إلى البيوت التي فيها
أنواع النعيم والخصب فذهبت معها وإذا
صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيا لها

الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ
الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 74]

فهربت الفارة البرية وهزت رأسها متعجبة
وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا إلا و
أن الفقر والعافية أحب إلي من غنى يكون
فيه الموت ثم فرت إلى البرية وكان عند
رومي خنزير فربطه إلى أسطوانة ووضع
العلف بين يديه ليسمنه وكان بجانبه أتان
لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من
العلف ما يتناثر فقال لأمه يا أماه ما أطيب
هذا العلف لو دام فقالت له يا بني لا تقربه
فإن وراءه الطامة الكبرى فلما أراد
الرومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين
على حلقه جعل يضرب وينفخ فهرب
الجحش وأتى إلى أمه وأخرج لها أسنانه
وقال ويلك يا أماه أنظري هل بقي في
خلال أسناني شيء من ذلك العلف
فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة
والله أعلم بالصواب
الفصل الرابع في أخبار المعمرين في
الجاهلية والاسلام

قال الحسن رضي الله تعالى عنه أفضل
الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر
وقال رسول الله " ألا أنبئكم بخياركم ؟
قالوا بلي يا رسول الله قال أطولكم
" أعمارا في الإسلام إذا سددوا
وزعموا أن تبعوا الفزاري كان من
المعمرين وإنه دخل على بعض خلفاء بني
أمية فسأله عن عمره فقال عشت
أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى
بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين
في الاسلام

قال له أخبرني عما رأيت في سالف
عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في أثر ليلة
ويوما في أثر يوم ورأيت الناس بين جامع
مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوي
يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير
يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين
مسرور بموجود ومحزون بمفقود
وقد قال ابن الجوزي إن آدم عليه السلام
عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة
سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا
وتسعين سنة وعاش ابنه إدريس ثلثمائة
وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود
تسعمائة واثنين وستين سنة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 75]

ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما
ابنه نوح عليه السلام فروي عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما أنه قال عاش
نوح عليه السلام ألفاً وأربعمائة وخمسين
عاماً

وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون
فهو أطول بني آدم عمراً
وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة
آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد
من الأعمار إلا ما بلغ مائة وعشرون سنة
فما فوقها

وعاش أكثم بن صيفي ثلاثمائة وستين
سنة وأدرك الإسلام وعاش سطيح
سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة
الأيادي سبعمائة سنة وكان من حكماء
العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة
وعشرين سنة وأدرك الإسلام وعاش دريد
بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط
حاجباه على عينيه وأدرك الإسلام ولم
يسلم

ومن المعمرين عدي بن حاتم الطائي
وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين

سنة ومن المعمرين ذو الأصابع العذري
عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد
حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين
عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومن
المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش
ثلاثمائة وعشرين سنة وأدرك الإسلام وقد
رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية
وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة
وإن امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد
رأيت منه ما لم أر من بعض شبان هذا
العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له
ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك في
صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله
سبحانه وتعالى أعلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 76]

الباب التاسع والاربعون في الاسماء
والكنى والألقاب وما استحسنت منها
فأشرف الأسماء وأعظمها بسم الله
الرحمن الرحيم قال الله تعالى (هل تعلم
له سميا) وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما عن رسول الله " من رفع قرطاسا
من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن

الرحيم اجلالا له ولاسمة عن أن يداس كان
عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن
والديه العذاب وإن كانا مشركين " وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يرن
إبليس لعنه الله قط إلا ثلاث رنات رنة حين
لعن وأخرج من ملكوت السموات والأرض
ورنة حين ولد محمد ورنة حين أنزلت
سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن
الرحيم وعن رسول الله " لا يرد دعاء أوله
بسم الله الرحمن الرحيم وإن أمتي يأتون
يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن
الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان
فتقول الأمم ما أثقل موازين أمة محمد
فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله
تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت
سيئات الخلق في كفة لرجحت كفة
" الأسماء

وأما الأسماء والكنى

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله " أحب
أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد
الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها
حرب ومرة وينبغي أن تنادي من لا تعرف

المستطرف [جزء 2 - صفحة 77]

اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك

ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء إن أحببتي عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رباح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه

وقيل لعثمان " ذو النورين " رضي الله عنه لأنه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لأنه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الأنصاري رضي الله تعالى عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت

تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه
المردودة فقيل له ذو العينين
وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه
كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري
فالعجب بها وكان رسول الله يقول يا أبا
هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد
الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير
وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله
تعالى عنه كنيت الدجال أبو يوسف ذو
الشهرة أبو دجانة الأنصاري رضي الله
تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين
الصفين ذو الرياستين الفضل بن سهل
لأنه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة
الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم
المهرجان وبين يديه الهدايا فقال
واليوم يوم المهرجان ... هديتي فيه)
(اللسان)

(لك دولتان حديثة ... وقديمة ورياستان)
(لك في الورى من هاشم ... نبت وبيت)
(خسروان)

علم الخليفة كيف أنت ... فصرت في هذا)
فأمر له بجميع الهدايا المطيبون (المكان
بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى
وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن
فهر غمسوا أيديهم في

المستطرف [جزء 2 - صفحة 78]

ثم تحالفوا شيبة جد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذافة بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر وقيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب مر به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبد لي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لأنه من صدق رسول الله سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لقب بالفاروق لأنه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل الكامل سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه لأنه كان يكتب ويحسن الرمي والعموم طلحة بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشح الحجر وأبو الريان عبد الملك ابن مروان لقب بذلك لبخله وبجره عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله تعالى

عنه الحبر عبد الله بن عباس رضي الله
تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له
مرة الحبر ومرة البحر
الأشدرق عمرو بن سعيد لأنه كان مائل
الشدرق الفياض عكرمة بن ربيعي لقب بذلك
لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد
الخراعي قيل له المصطلق لحسن صوته
وشدته وكان أول من غنى من خراعة راح
يكذب لقب به المهلب لأنه كان يضع
الحديث أيام الخوارج فيحدث به فإذا رأوه
قالوا راح يكذب وأصل الغزال كان يكثر
الجلوس في سوق الغزالين وكان يتتبع
العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا
سليمان التميمي كان داره ومسجده في
بني تميم ولم يكن منهم وهو شيباني أبو
عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان
وإنما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني
اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري
فنسب إليه ذو القروح امرؤ القيس كان
ملك الروم كساه المسمومة فقرحته
وقالوا لم تكن الكنى لأحد من الأمم إلا
العرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم
أكنيه حين أناديه لأكرمه . . . ولا ألقبه)
(والسودة اللقب)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 79]

في قوله تعالى (فقولا له قولا لينا) أي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى إليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأما الألقاب فقد قال الله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف إلا بذلك كالأعمش والأعمى والأعرج والأحول والأفطس والأقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم يزل في الأمم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير تكبير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسنت من تلقيب السفلة بالألقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا

فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين
وينافي كمال الدين وشرف الإسلام وهي
لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي
يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله
تعالى إعزاز دينه وإعلاء كلمته وأن يصلح
فسادنا ويوقظ غافلنا
الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك وإذا
كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل
وبناء الأمر على رجاء أن يعيش فيولد له
وقد يكون بما يلائم المكنى من غير
الأولاد كقول رسول الله في علي رضي
الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام في
غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء
رسول الله وهو متمرغ في التراب فقال
له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه إليه
وكقولهم أبي لهب لحمرة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 80]

خديه ولونه
وقال الزمخشري رحمه الله تعالى
وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة
بأبي الرأس وأبي العمامة وسمعت العرب
ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة

وسمعت عرب البحيرة يكتنون بأسماء
بناتهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى
ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى
جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة
منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو
عبد الله وأبو ليلى
ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الداري
وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير
من الصحابة ومن التابعين رضوان الله
عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن
الأجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب
به فمات فدخل رسول الله فرأه حزينا
فقال ما شأنه ؟ فقالوا مات نغيره فقال يا
أبا عمير ما فعل النغير ونظر المأمون إلى
غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه
فقال لا أدري فقال
تسميت لا أدري فإنك لا تدري ... بما فعل
وعن علي رضي (الحب المبرح في صدري
الله تعالى عنه عن النبي " إذا سميتم
الولد محمدا فآكرموه ووسعوا له في
" المجلس ولا تقبحوا له وجهها
وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر
من اسمه محمدا أو أحمد فادخلوه في
مشورتهم إلا كان خيرا لهم وما من مائدة

وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو
أحمد إلا قدس الله ذلك المنزل في كل
يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم
الشريف
ومما جاء في مدح الأسماء منظوما قال
بعضهم في مליح اسمه ابراهيم
رأيت حبيبي في المنام معانقي ... وذلك
(للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة ... وما
(ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 81]

وفيه أيضا
لا زال بابك كعبة محجوجة ... وترابها فوق
(الجباه وسيم
حتى ينادي في البقاع بأسرها ... هذا
(المقام وأنت ابراهيم
وفيه أيضا
يا سمي الخليل إن فؤادي ... فيه من
(لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلي أن قلبي ... فيه نار
(وأنت فيه مقيم
ولبعضهم في مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس اسما كم تجور على ...)
(فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر ...)
(وأبدلوها بعين خيفة العين
وفيه أيضا
ما عليهم في الهوى لونها ... حين)
(سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا ... أخطأوا ما أنت)
(إلا قمر
ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة
اسمه عثمان
وافى إلى بشمعة وضياؤها ... وضياؤه)
(حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى ... فأجابني)
(عثمان ذو النورين
ولبعضهم في مليح اسمه يوسف
يا من سبى الشعراء نمل عذاره ... النجم)
(يشهد لي بأني مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا ... فامتن)
(علي بزورة يا يوسف
وللصفي الحلبي فيمن اسمه داود
وثقت بأن قلبي من حديد ... وفيه على)
(الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب ... إذا داود لان)
(له الحديد

المستطرف [جزء 2 - صفحة 82]

- وله فيمن اسمه موسى
(أتى موسى بآية خال خد ... حوته صوارم)
الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد ... وآية ذا سواد
(في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى ... كلیم الله)
(في الحقب المواضي
وللقيراطي في مليح اسمه بدر
سموه بدرا وذاك لما ... أن فاق في)
(حسنه وتما
وأجمع الناس إذا رأوه ... بأنه اسم على)
ولمؤلفه رحمه الله تعالى في (مسمى
قاضي القضاة علم الدين صالح البقليني
وعظ الأنام أمامنا الحبر الذي ... سكب)
(العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه ... والعلم)
وتوجهت مرة (تشفى إن تكن من صالح
إلى بلناج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور
في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من
أخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت
خصال خليل كلهن حميدة ... وأوصافه)

(تزرى بكل جميل
فلا خير في بلتاج إن لم يكن بها ... ولا)
(خير في الدنيا بغير خليل
وقال آخر في مقبل
يا من تحجب عن محب صادق ... ما زال)
(عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا ... ويقال)
(لي هذا حبيبك مقبل
ولبعضهم في مليح اسمه محسن
وأهيف يعلو على عشاقه ... برتبة من)
(الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن ... وكم دموع)
(في الهوى أسالها)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 83]

صفي الدين الحلبي في اسم حسين
حبيبي وافر والشوق مني ... طويل)
(والهوى عندي مديد
وأعجب أنني أهوى حسينا ... وشوق في)
(محبته يزيد
ومما قيل في أسماء النساء في فاطمة
عجبت من فاتنة لم تنزل ... لمرتجى)
(الوصل لها فاطمة)

تنكر ما ألقاه من وجدها ... وهي بشوقي)
(والجوى عالمة)

ابن مكانس في اسم عائشة
يا دهر خبرني بحقك واشفني ... فسهام)

(فكري في أمورك طائشة
أحل أني في المحبة ميت ... وحببتي)
(من بعد موتي عائشة)

شمس الدين البديري في اسم حليلة
ولما رأني في هواها متيما ... أكابد من)
(حر الغرام أليمه)

فجادت بطيب الوصل منها ولم تجز ...)
(ومن أين تدري الجور وهي حليلة
ولبعضهم في اسم بركة ذو بيت)

لما نصب الهوى لقلبي شركة ... ناديت)
(وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل لشركه ... تغنيك)
(سنين ساعة من بركة
مردوفا أيضا)

لما نصب الهوى لقلبي شركة ... في كل)
(طريق)

ناديت وقلبي تارك من تركه ... لو كن)
(يفيق)

يا قلب أفق ولا تمل للشركة ... ما الشرك)
(يليق)

تغنيك سنين ساعة من بركة ... عن كل)

ولا تتبعت هذا المعنى لاحتجت إلى (صديق
مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله
الموفق وأسأله العناية وصلى الله على
سيدنا ومحمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 84]

الباب الخمسون فيما جاء في الأسفار
والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق
والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب
الوطن والحنين إليه أما ما جاء في
الاسفار والحث على ترك الإقامة بدار
الهوان

فقد قال الله تعالى (هو الذي جعل لكم
الأرض ذلولا) الآية وفي الأثر سافروا
تغنموا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله " لو يعلم الناس رحمة الله
للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر
وهو ميزان الاخلاق إن الله بالمسافر رحيم
" ويقال الحركة ولود والسكون عاقر
وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق
الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه
والده إشفاقا عليه فقال يوما
ألا خلني لشاني ولا أكن ... على الأهل)

(كلا إن ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن ... لأهرب)
(عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي ... وقيل)
(إذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الأرض عمري لعله ... يسر)
وقال رسول الله " (صديق أو يغاظ حسود
عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل
ولا تطوى بالنهار " وقال كعب بن مالك
رضي الله تعالى عنه كان رسول الله يكره
أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 85]

الراكب شيطان والراكبان شيطانان
والثلاثة ركب " وقال " إذا خرج ثلاثة في
ركب فيلؤمروا أحدهم
وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان
النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار
في ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به
المثل وقال قيس بن الحطيم
هممنا بالاقامة ثم سرنا ... مسير حذيفة)
(الخير بن بدر
وسار ذكوان مولى عمر رضي الله تعالى

عنه من مكة إلى المدينة في يوم وليلة
وقال المأمون لا شيء ألد من السفر في
كفاية وعافية لأنك تحل كل يوم في محلة
لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم
ومما قيل في ترك الإقامة بدار الهوان
قال الفرزدق

وفي الأرض عن دار القلى متحول ...
(وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي إلا بلدة مثل بلدتي ... خيارهما ما
(كان عوناً على دهر

وقال آخر

وإذا البلاد تغيرت عن حالها ... فدع
(المقام وبادر التحويلاً

ليس المقام عليك فرضاً واجباً ... في
(بلدة تدع العزيز ذليلاً

وقال الصفي الحلبي

تنقل فلذات الهوى في التنقل ... ورد
(كمل صاف لا تقف عند منهل

ففي الأرض أحباب وفيها منازل ... فلا
(تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس إنه ... مضل
(ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله الجعدي

فان تجف عني أو تزرني إهانة ... أجدعك

(في الأرض الفريضة مذهباً)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 86]

ومما قيل في الوداع والفراق والشوق
والبكاء
قال جرير
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم)
وقيل لعمارة (الرحيل فعلت ما لم أفعل
بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك
صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل ؟ قال
كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه
ثم أنشد يقول
وما وجد مغلول بصنعاء موثق ... بساقيه)
(من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجزيرة ... له بعد)
(نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب ... غداة غد أو)
(مسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني ... فراق)
(حبيب ما إليه سبيل
وقال الشاعر
وما أم خشف طول يوم وليلة ... ببلقعة)
(بيداء ظمان صاديا

تهيم ولا تدري إلى أين تبتغي ... مولهة)
(حزنا تجوز الفيافيا
أضربها حر الهجير فلم تجد ... لغتها من)
(بارد الماء شافيا
إذا أبعدت عن خشفها انعطفت له ...)
(فالفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع مني يوم شدوا حملهم ... ونادى)
(مناد البين أن لا تلاقيا
وقال عبد العزيز الماجشون وهو من
فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون
ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا
أمير المؤمنين
لله باك على أحبابه جزعا ... قد كنت أحذر)
(هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني ... حتى)
(يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى إلف السرور لنا ... فدب)
(بالبين فيما بيننا وسعى

المستطرف [جزء 2 - صفحة 87]

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا ... فلا)
فقال والله (زيادة شيء فوق ما صنعا
لأعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار

(وقال آخر)
وقفت يوم النوى منهم على بعد ... ولم)
أودعهم وجدا واشفاقا
إني خشيت على الاطعان من نفسي ...)
(ومن دموعي إحراقا واغراقا
وقال عمر بن أحمد)
أني الرحيل فحين جد ترحلت ... مهج)
(النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه ... لم يدر)
وحكى بعضهم قال (كيف تفتت الاكباد
دخلنا إلى دبر هرقل فنظرنا إلى مجنون
في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له
أحسن فأوما بيده إلى حجر يرمينا به
وقال المثلي يقال أحسنت ففررنا منه
فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى
أنشدكم فان أحسنت فقولوا أحسنت وان
أنا أسأت فقولوا أسأت
فرجعنا إليه فأنشد يقول
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو ...)
(وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها ... يرنو)
(إلي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنهم ... ناديت لا)
(حملت رجلاك يا حمل
يا حادي العيس عرج كي أودعهم ... يا)

(حادي العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم أنقص مودتهم ...)
(ياليت شعري لطول البعد ما فعلوا
فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ! ثم
شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى
(وقال آخر)
لما علمت بأن القوم قد رحلوا ... وراهب)
(الدير بالناقوس مشتغل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 88]

(شبكت عشري على رأسي وقلت له ... يا
راهب الدير هل مرت بك الإبل)
(فحن لي وبكى رق لي ورثى ... وقال لي)
(يا فتى ضاقت بك الحيل
إن الخيام التي قد جئت تطلبهم ...)
(بالأمس كانوا هنا والآن قد رحلوا
وقال الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن)
(عربي رحمه الله تعالى
ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا ... إلا)
(وقد حملوا فيها الطواويا
من كل فاتكة الألحاظ مالكة ... تخالها)
(فوق عرش الدر بلقيسا
إذا تمشت على صرح الزجاج ترى ...)

(شمسا على فلك في حجر ادريسا
أسقفه من بنات الروم عاطلة ... ترى)
(عليها من الأنوار ناموسا
وحشية ما لها أنس قد اتخذت ... في بيت)
(خلوتها للذكر ناوسا
ان اومات تطلب الانجيل تحسبهم ...)
(قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت إذ رحلوا للبين ناقتها ... يا حادي)
(العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبري يوم بينهم ... على)
(الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعي الربع بعدهمو ...)
(والوجد في القلب لا ينفك مغروسا
وقال آخر
ولما تبدت للرحيل جمالنا ... وجد بنا سير)
(وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها ... وناظرها)
(باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت بأطراف البنان وودعت ... وأومت)
(بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر ...)
(يسيرويدري ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها ...)
(فسالت من الطرف الكحيل مدامع

المستطرف [جزء 2 - صفحة 89]

- (وقالت إلهي كن لي عليه خليفة ...)
(فيارب ما خابت لديك الودائع
(وقال آخر)
يا راحلا وجميل الصبر ينبعه ... هل من
(سبيل إلى لقياك يتفق
(ما أنصفتك دموعي وهي دامية ... ولا
(وفي لك قلبي وهو يحترق
(وقال البغدادي)
قالت وقد نالها للبين أوجعه ... والبين
(صعب على الأحباب موقعه
(اجعل يدك على قلبي فقد ضعفت ...)
(قواه عن حمل ما فيه واضلعه
(واعطف على المطايا ساعة فعسى ...)
(من شق الهوى بالبين يجمعه
(كأنني يوم ولت حسرة وأسى ... غريق)
(بحر يرى الشاطيء ويمنعه
(وقال ابن البديري)
قفا حاديا ليلي فاني وامق ... وتعجلا يوما
(على من يفارق
(وزما مطاياها قبيل مسيرها ... ليلتذ منها)
(بالتزود عاشق
(ولا تزجرا بالسوق أظعان عيسها ... فان)

(حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذينا ... ونحن كلانا)
(في التفكير غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا ...)
(تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا ... ولا تعجبا)
(أنا مشوق وشائق
وقال أيضا)
(تذكرت ليلي حين شط مزارها ... وعادت)
(منازلها خليات بلقع
بكرت عليها والقنا يقرع القنا ... وسمر)
(العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي ... وخالفت)
(سهدي والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة ... فؤادي)
(أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي إذ رأى الدمع دائما ... يفيض)
(دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صباة ... على)
(غير ليلي فهو دمع مضيع

المستطرف [جزء 2 - صفحة 90]

وقال آخر

مددت إلى التوديع كفا ضعيفة ... وأخرى)
(على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو ... ولا كان)
(ذا التوديع آخر زادي
وقال آخر
ولما وقفنا للوداع عشية ... وطرفي)
(وقلبي دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الرشاة شماتة ... كأني)
(سحاب والوشاة بروق
ولمؤلفه رحمه الله تعالى)
(يا سادة في سويد القلب مسكنكم ...)
(وفي منامي أرى أني أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو ... يا من)
(يعز علينا أن تفارقهم
وقال آخر
لو أن مالك عالم بذرى الهوى ... ومحله)
(من أضلع العشاق
ما عذب العشاق إلا بالهوى ... وإذا)
(استغاثوا غاثهم بفراق
وقال ابن الوردي)
(دهرنا أضحى ضنينا ... باللقا حتى ضنينا)
(يا ليالي الوصل عودي ... اجمعينا اجمعينا)
(وقال الشريف الرضي)
(عللاني بذكرهم واسقياني ... وامزجا لي)

(دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فإني ... قد خلعت)
(الكرى على العشاق)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 91]

(وقال آخر عند ذلك)
قالوا أترقد إذ عبنا فقلت لهم ... نعم)
(وأشفق من دمعي على بصري
ما حق طرف هداني نحو حسنكمو ... أني)
(أعذبه بالدمع والسهر
وقال الموصلي
فسدت لطول بعادكم أحلامنا ... وعقولنا)
(وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة ... يا حبذا)
(إن صحت الأحلام
ومما قيل في البكاء قال الشاعر
رجوت طيف خياله ... وكيف لي بهجوع)
(والذاريات جفوني ... والمرسلات دموعي)
(وقال آخر)
ارحم رحمت للوعتي ... وابعث خيالك في)
(الكرى
ودموع عيني لا تسل ... عن حالها يا ما)
(جرى)

وقال آخر
إن عيني مذ غاب شخصك عنها ... يأمر)
(السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي ... لا تسل ما جرى)
(على الخد منها
وقال آخر
يا قلب صبرا على الفراق ولو ... روعت)
(ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما ... أخفيه من)
(قلبي سقطت من عيني

المستطرف [جزء 2 - صفحة 92]

وقال آخر
خاض العواذل في حديث مدامعي ... مما)
(غدا كالبحر سرعة سيره
خبأته لأصون سر هواكمو ... حتى)
(يخوضوا في حديث غيره
وقال ابن المواز
رحت يوم الفراق أجري دموعي ... حسرة)
(إذ قضى الفراق بيني
قيل كم إذا تجري دموعك تعمى ... أوقف)
(الدمع قلت من بعد عيني
وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى ... وغدوت
(من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده ... وجعلته
(وقفا عليه جاريا
وقال آخر
ولم أر مثلي غار من طول ليله ... عليه)
(كأن الليل يعشقه معي
وما زلت أبكي في دجى الليل صبوة ...)
(من الوجد حتى أبيض من فيض أدمعي
وقال الموصلي
عين أفاضت دموعي ... لطول صد وبين)
(ووجنة الخد قالت ... رأيت غسلي بعيني)
وقال آخر
وما فارقت ليلى من مراد ... ولكن شقوة)
(بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف ... إذا ماتت)
وفي بعض الكتب السماوية (حبيبته بكاهها
أن مما عاقبت به عبادي أن ابتليتهم بفراق
الأحبة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 93]

ومما جاء في الحنين إلى الوطن أما محبة
الوطن فمستولية على الطباع مستدعية

أشد الشوق إليها روي أن أبان قدم على
النبي فقال يا أبان كيف تركت مكة ؟ قال
تركته الأذخر وقد أعذق والنمام وقد أورد
فاغرورقت عينا رسول الله وقال بلال
رضي الله تعالى عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... براد)

(وحولي أذخر وجيل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدوون)
(لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشيد أن تكون النفس
إلى بلدها تواقه وإلى مسقط رأسها
مشتاقه

ومن حب الوطن ما حكى أن سيدنا يوسف
عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل
تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر
أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه
الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون
لعنه الله حمله موسى إلى مقابر آبائه
فقبره بالأرض المقدسة وأوصى الاسكندر
رحمه الله تعالى أن تحمل رتمته في تابوت
من ذهب إلى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل
سابور ذو الأكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم
فقال له بنت الملك وكانت قد عشقته ما
تشتهي ؟ قال شربة من ماء دجلة وشمة
من تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من

ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء
دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم
بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان
النفر في زمن البرامكة إذا سافر أحدهم
أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى
به وما أحسن ما قال بعضهم
بلاد ألفناها على كل حالة ... وقد يؤلف
(الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التي لا هوا بها ... ولا
(ماؤها عذب ولكنها وطن

المستطرف [جزء 2 - صفحة 94]

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در
وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر
وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند
أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها
الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج
لعامله على أصبهان قد وليتك على بلدة
حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها
الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب
وقبة الإسلام لانتقال قبائل العرب إليها
" واتخاذ المسلمين بها وطننا " ومركزا
وكان أبو إسحاق الزجاج يقول بغداد

حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول
مصر كنانة الله في أرضه والسلام
ومما جاء في ذم السفر
قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال
بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم
كل العذاب قطعة من السفر... (يارب)
(فارددنا على خير الحضر
وقيل لاعرابي ما الغبطة ؟ قال الكفاية مع
لزوم الاوطان
ومر إياس بن معاوية بمكان فقال أسمع
صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك ؟
قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد
اعرابي السفر فقال لامرأته
عدي السنين لغيبتني وتصبري... (وذري)
فأجابته (الشهور فانهن قصار
فاذكر صبايتنا اليك وشوقنا... (وارحم)
فاقام وترك السفر (بناتك انهن صغار
ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته وقال
ابن الهيثم
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها... (ولكن)
وفيما ذكرته كفاية (أخلاق الرجال تضيق
وأسأل الله التوفيق والهداية و صلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 95]

الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى
وحب المال والافتخار بجمعه قال الله
تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)
وقيل الفقير رأس كل بلاء وداعية الى
مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة
مذهبة للحياء فمتى نزل الفقير بالرجل لم
يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياؤه
فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن
مقت ازدري به ومن صار كذلك كان كلامه
عليه لا له وقال رسول الله ان تذر ورثتك
اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس) وفي الحديث (لا خير فيمن لا
يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به امانته
ويستغني به عن خلق ربه) وقال علي
كرم الله تعالى وجهه الفقير الموت الأكبر
وقد استعاذ رسول الله من الكفر والفقير
وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ
الأكرمين دينه وعرضه قال الشاعر
لا تلمني إذا وقيت الأواقي .. بالأواقي)
وقال لقمان لابنه يا بني (لماء وجهي واقي
اكلت الحنظل وذقت الصبر فلم ار شيئاً
أمر من الفقير فان افتقرت فلا تحدث به
الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله

تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله
فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه
فلم يكشف ما به
وكان العباس رضي الله

المستطرف [جزء 2 - صفحة 96]

تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال الزم
من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من
الماء وارفع من السماء وأحلى من الشهد
وأزكى من الورد خطؤه صواب وسيئاته
حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا
يميل حديثه والمفلس عند الناس اكذب من
لمعان السراب واثقل من الرصاص لا
يسئل عليه ان قدم ولا يسلم عنه ان غاب
ان حضر اردوه وان غاب شتموه وان غضب
صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته
تقطع الصلاة

وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم
أجد لها أروح من ترك ما لا يعينها
وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من
قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت
الأقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من
المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل

القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا
أكبر من الفاقة
(وكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل ما
يلفى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما)
وقال آخر (رأوني معدما مات مرحب
المال يرفع سقفا لا عماد له ... والفقير)
وقال آخر (يهدم بيت العز والشرف
جروح الليالي ما لهن طيب ... وعيش)
(الفتى بالفقير ليس يطيع
وحسبك ان المرء فى حال فقره ...)
(تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغترر بالحادثات وصرفها ... بيت)
(وهو مغلوب الفؤاد سلب
وما ضيرني ان قال أخطأت جاهل ... إذا)
وقال آخر (قال كل الناس أنت مصيب
الفقير يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد)
وقال آخر (يسود بغير السيد المال
لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنيلا)
(وأن الفقير بالمرء قد يزري

المستطرف [جزء 2 - صفحة 97]

وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا)

وقال آخر (وضع النفس النفيسة كالفقر
إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان)
(على الأدنى فكيف الأبعد)
وقال ابن الأحنف
يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس)
(تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ... ويرى)
(العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة ... خضعت)
(لديه وحركت أذناها
وإذا رأت يوما فقيرا عابرا ... نبحت عليه)
وقال آخر (وكشرت أنيابها
فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار)
(الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه ... إذا بلي)
وقال آخر (بالفقر الا غريب
إن الدراهم فى الموطن كلها ... تكسو)
(الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى)
وقال آخر (السلاح لمن أراد قتالا
ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ... فكلما)
(انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا فان وثبت ... يوما)
وقال بعض (عليه يما لا يشتهي وثبوا
الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو

عندي كذاب . وقال الكناني
أصبحت الدنيا لنا عبرة ... فالحمد لله على
(ذلكا)
قد أجمع الناس على ذمها ... وما أرى)
وقال الزمخشري (منهم لها تاركا
وإذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل)
(صعوبته على الدينار)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 98]

وابعته فيما تشتهيهِ فإنه ... حجر يلين)
(قوة الأحجار)
قال الثوري رحمه الله تعالى لأن أخلف
عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها
أحب إلي من أن أحتاج إلى لئيم وفي هذا
المعنى قال الشاعر
احفظ عري مالك تحظى به ... ولا تفرط)
(فيه تبقى ذليل)
وإن يقولوا باخل بالعطا ... فالبخل خير)
(من سؤال البخيل)
واحفظ على نفسك من زلة ... يرى عزيز)
(القوم فيها ذليل)
وأما ما جاء في الاحتراز على الأموال
فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز

ويحتفظ عليه من المطمعين و
المبرطحين والمحترفين والموهمين
والمتنسمين
فأما المطمعون فهم الذين يتلقون
أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية
والاعظام إلى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم
بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من
حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم
سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب
المال في معرض المقال أنه كسب فائدة
كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في
الحديث الى ان يقول اني فكرت فيما
عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود
ضرره في المستقبل ان لم تساعد
بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك
وخدمتك وأريد أن أوجه إليك فائدة من
المتجر بشرط ان لا أضع يدي لك على مال
بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من
جهتك

ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين
فإذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على
قسمين أن ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه
اليسير منه على صفة أنه من الربح
وطاول به الأوقات ودفع اليه في المدة
الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج

عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فإن
لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة
المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا
راباني فإن روعي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 99]

صاحب المال وفق بينهما على ان يكتب
عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي ما
فيها الا في الاخرة وان هو لم يآتمنه
وعول ان يكون القبض بيده والمتاع
مخزونا لديه واطأ عليه البائعين
والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول
به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح
أوهمه ان مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد
المشترى او رخص حال الامر على الاقدار
وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد
المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء
وهم الطماعون المطمعون في عمل
الذهب والفضة من غير معدنها فيجب أن
يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في
شيء من حديثهم فإن كذبهم ظاهر وذلك
أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا
ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا

لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن ما يلجئهم إلى ذلك إلا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه إلى أن يدخل إلى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها وينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي إلى مدة فيقنع في تلك المدة بالأكل غدرة وعشية وسبيله بعد ذلك إن كان معروفا قال فسد علي العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وإن كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون إلى أصحاب الأموال ويقولون إنا نعرف علم كنز فيه من الإمارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة تنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه إلى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر

أمرهم كصاحب الكيمياء وإن كانوا
منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو
في العدة التي معه فربما قتلوه هناك
لأجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين

المستطرف [جزء 2 - صفحة 100]

وأما المبرطحون فهم من الخونة والناس
بهم أكثر غررا وذلك أنهم إذا ندب صاحب
المال أحد منهم لشراء حاجة سارع فيها
واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها
أو درعها ووضع من أصل ثمنها شيئا وزنه
من عنده حتى يبيض وجهه عند صاحب
المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه
وكذلك إن ندبه لشيء يبيعه استظهر
واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى
يلقى مقاليد أموره إليه فيستعطفه ويفوز
به ثم يغير الحال الأول في الباطن فينبغي
لصاحب المال أن لا يغفل عنه
وأما المحترفون الموهمون فهم الذين
يتعرضون لذوي الأموال فيظهرون لهم
الغنى والكفاية ويباسطونهم مباشرة
الأصدقاء ويعتمدون جودة اللباس
ويستعملون كثيرا من الطيب ثم إن أحدهم

يذكر أنه يربح الأرباح العظيمة فيما يعانیه
ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى
يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال أنه
يكتسب في كل سنة الجمل الكثيره من
المال وأنه لا يبالي إذا أنفق أو أكل أو
شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك
فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان
تريد الدنيا كلها لنفسك
لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك ؟
فيقول له أنت جبان يعز عليك إخراج
الدينار وتظن أنك إن أظهرته خطف منك
ولا تدري أنه مثل البازي إن أرسلته أكل
وأطعمك وإن أمسكته لم يصد شيئاً
واحتجت إلى أن تطعمه وإلا مات وأنا والله
لو كان عندي علم أنك تنبسط لهذا كنت
فعلت معك خيراً كثيراً ولكن ما كان إلا
هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في
المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله
أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه
رغبة إلى أن يسلمه إليه فيكون حاله كحال
المطمع إذا صار المال تحت يده
وأما المتنسمون فهم أهل الرياء
المظهرون التعفف والنسك ومجانبة
ومجانبة الحرام ومواظبة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 101]

الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند
الخاص والعام ثم يلقون ذوي الأموال
بالبشر والاكرام والتلطف في المقال
ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة
التهاني بالأعياد وربما يأتي معه بأحد من
الأولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون
الدين سلماً إلى الدنيا وأكثر أغراضهم أن
تودع عندهم الأموال وتفوض إليهم
الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم
الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا
والأموال وهؤلاء أشد من اللصوص
والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص
والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم وتشبه
هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على
الاغترار بهم

قال الشاعر

صلى وصام لأمر كان أمله ... حتى حواه
وقيل لا فقير أفقر (فما صلى ولا صاما
من غنى يأمن الفقير قال الشاعر
ألم تر أن الفقير يرجى له الغنى ... وأن)
وأوصى (الغنى يخشى عليه من الفقير
بعض الحكماء ولده فقال له يا بني عليك

بطلب العلم وجمع المال فإن الناس
طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك
للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض
الحكماء إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به
موثقا وأساء به الظن من كان ظنه حسنا
ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من
ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه
وما من خلة هي للغنى مدح إلا وهي
للفقر عيب فإن كان شجاعا سمي أهوج
وإن كان مؤثرا سمي مفسدا وإن كان
حليما سمي ضعيفا وإن كان وقورا سمي
بليدا وإن كان لسنا سمي مهذارا وإن كان
صموتا سمي عيبا قال ابن كثير
الناس أتباع من دامت له نعم ... والويل
(للمرء إن زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه ... حي كمن
(مات إلا أنه صنم
لما رأيت إخلائي وخالصتي ... والكل
(مستتر عني ومحتشم
أبدوا جفاء وإعراضا فقلت لهم ... أذنبت
(ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقله وزيرا لبعض الخلفاء فزور
عنه يهودي كتابا إلى بلاد الكفار وضمنه
أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي
إلى أن وصل الكتاب إلى الخليفة فوقف
عليه وكان عند ابن مقله حظية هويت هذا
اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل
يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي
كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب
أمر بقطع يد ابن مقله وكان ذلك يوم
عرفة وقد لبس خلة العيد ومضى إلى
داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما
قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد
إليه ولا توجه له ثم اتضحت القضية في
أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودي
والجارية فقتلها أشر قتلة ثم أرسل إلى
ابن مقله أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم
من فعله واعتذر إليه فكتب ابن مقله على
باب داره يقول

تحالف الناس والزمان ... فحيث كان
(الزمان كانوا

عاداني الدهر نصف يوم ... فانكشف)
(الناس لي وبانوا

يا أيها المعرضون عني ... عودوا فقد عاد)
ثم أقام بقية عمره يكتب بيده (لي الزمان
اليسرى

قال بعضهم
إنما قوة الظهور النقود ... وبها يكمل
(الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما ... ولئيم)
والأطباء يعلمون (تسعى إليه الوفود
أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب
الأدوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب
قال الشاعر
أحرص على الدرهم والعين ... تسلم من
(العيلة والدين)
فقوة العين بإنسانها ... وقوة الإنسان)
واعلم أن القلب عمود البدن فإذا (بالعين
قوي القلب قوي سائر البدن وليس له قوة
أشد من المال
وبالضد إذا ضعف الفقر له البدن

المستطرف [جزء 2 - صفحة 103]

حكى أن ملكا رأى شيئا قد وثب وثبة
عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز
عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحدثه
في ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على
وسطه
وقال لقمان لابنه يا بني شيئا إذ أنت

حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما دينك
لمعادك ودرهمك لمعاشك
والكلام في هذا المعنى كثير
وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد
كان في الناس من يتظاهر بالغنى ويراه
مروءة وفخرا

فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون أنه
دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس
وقد تفتح زهرة فاستحسنة فدعا بغدائه
فتغدى ثم دعا بشرايه فشرب فلما انتشى
قال علي بألف مثقال من المسك فنثره
على أوراق النرجس ولنذكر الآن نبذة من
الذخائر والتحف

حكى الرشيد بن الزبير في كتابه الملقب
بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر في
كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله
لما فتح مكة عام الفتح في سنة ثمان من
الهجرة وجد في الجب الذي كان في
الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما
كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف
وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار
وباع زهرة التميمي يوم القادسية منطقة
كان قد قتل صاحبها بثمانين ألف دينار
ولبس سلبه وقيمه خمسمائة ألف
وخمسون ألفا

وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى
فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت
قيمتها ألف ألف دينار ومائتي ألف ووجد
المستورد بن ربيعة يوم القادسية أبريق
ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما
قيمته فقال رجل ن الفرس أنا أخذه
بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب
إلى سعد بن أبي وقاص فأعطاه إياه وقال
لا تبعه إلا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد
بمائة ألف دينار ولما أتت الترك إلى عبد
الله بن زياد ببخارى في سنة أربع
وخمسين كان مع ملكهم امرأته خانون
فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس
خفها فلبست إحدى فرديته ونسيت
الأخرى فأصابها المسلمون فقومت
بمائتي ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم
ببخارى في سنة تسع وثمانين وجد فيها
قدر ذهب ينزل إليها بسلاالم ودفن مصعب
ابن الزبير حين

المستطرف [جزء 2 - صفحة 104]

أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من
ياقوت احمر وقال له انج به وكان قد قوم

ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد
ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به
أحد بعد مصعب

وذكر مصعب بن الزبير ان بعض عمال
خراسان في ولايته ظهر على كنز فوجد
فيه حلة كانت لبعض الأكاسرة مصوغه من
الذهب مرصعة بالدر والجواهر والياقوت
الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى
مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت
قيمتها ألفي ألف دينار فقال إلى من
ادفعها ؟ فقيل إلى نسائك وأهلك
فقال لا بل إلى رجل قدم عندنا يدا وأولانا
جميلا ادع لي عبد الله بن أبي دريد فدفعها
إليه

ولما صار موجود عماد الدولة في قبضة
أمير الجيوش وجد في جملته دملج ذهب
فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة
عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى
المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار
ووجد في بستان العباس بن الحسن
الوزير مما أعد له من آلة الشرب يوم قتل
سبعمئة صينية من ذهب وفضة ووجد له
مائة الف مثقال عنبر

وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثني
عشر الف قميص وشي وعشرة آلاف تكة

حرير وحملت كسوته لما حج على سعمائة
جمل وترك بعد وفاته احد عشر الف ألف
دينا ولم تأت دولة بني العباس الا وجميع
أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين
الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين
ولما قتل الأفضل بن أمير الجيوش في
شهر رمضان سنة خمس عشرة
وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار
ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة
وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب
قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت
بمائتي ألف دينار وعشرة بيوت في كل
بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار
على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة
عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف
عشرة صناديق مملوءة من الجواهر الفائق
الذي لا يوجد مثله وخلف خمسمائة
صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من
الزبادي الصيني والبلور المحكم وسق مائة
جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة
وثلاثة آلاف ملعقة ذهب

آلاف زبانية فضة كبار وصغار وأربع قدور
ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة
جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة
مملوءة دراهم خارجا عن الارادب في كل
خريطة عشرة الاف درهم وخلف من
الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال
وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله
تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفي
حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا
وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة
ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل
المغرب وثلاثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف
تور فضة وخلف من البسط الرومية
والأندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل
قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس
والأغنام ما يباع لبنه في كل سنة بثلاثين
الف دينار وخلف من الحواصل المملوءة
من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى
الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه
طبلا كان بالقرب من موضع العاضد
محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب
عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم
أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه
فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا
خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع

للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على
كسره
وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر
والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا
ونفذت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان
من يدوم ملكه وبقاؤه
قال بعضهم
هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... اليس مصير
فضمنت أنا هذا البيت وقلت (ذلك للزوال
أيا من عاش في الدنيا طويلا ... وأفنى)
(العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفني ... وجمع من
(حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... اليس مصير
وصلى الله على سيدنا محمد (ذلك للزوال
وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 106]

الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقير
ومدحه قد دل قوله تعالى (كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى) على ذم الغنى ان
كان سبب الطغيان
وسئل ابو حنيفة رحمه الله تعالى عن

الغنى والفقير فقال وهل طغى من طغى
من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه
الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى
والفقير من قبل النفس لا في المال وكان
الصحابة رضي الله تعالى عنهم يرون
الفقير فضيلة وحدث الحسن رضي الله عنه
أن رسول الله قال يدخل فقراء امتي
الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما فقال
جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أو من
الفقراء ؟ فقال هل تغديت اليوم ؟ قال
نعم قال فهل عندك ما تتعشى به ؟ قال
نعم قال فإذا أنت من الأغنياء وقال ابن
عباس رضي الله عنهما كان النبي يبيت
طاويا ليالي ما له ولا لأهله عشاء وكان
عامه طعامه الشعير وكان تعصب الحجر
على بطنه من الجوع وكان يأكل خبز
الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه
مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها
صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول (
اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا
واحشرنى في زمرة المساكين) وقال
جابر رضي الله تعالى عنه دخل النبي على
ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي
تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل
فبكي وقال (تجرعي يا فاطمة مرارة

الدنيا لنعيم الآخرة) قال الله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 107]

موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختار الا أولياء الله تعالى (وفي الخبر اذ كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لملائكته أدنوا الى أحبائي فتقول الملائكة ومن أحبؤك يا اله العالمين ؟ فيقول فقراء المؤمنين أحبائي فيدنونهم منه فيقول يا عبادي الصالحين إني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الي وتمتعوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال (هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذي نفسي بيده ليدخلن فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم) وقال عليه الصلاة والسلام (رب أشعث

أعبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على
الله تعالى لأبره أي لو قال اللهم إني
أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من
الدنيا شيئاً

وقال عليه الصلاة والسلام (إن أهل الجنة
كل أشعث أعبر ذي طمرين لا يؤبه به
الذين إذا استأذنوا على الأمير لا يؤذن لهم
وإن خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم
ينصت لهم

حوائج أحدهم تتلجلج في صدره لم قسم
(نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم
وروي عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان
حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق
الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو
جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو
دعوت الله تعالى ليوسع عليك في
معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير
أحدا فأخذ حصاة من الأرض وقال اللهم
اجعلها ذهباً فإذا هي تبرة في كفه ما رأيت
أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو
أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه
؟ قال انفقها على عيالك فهبته والله أن
أرجها عليها وقال عون بن عبد الله صحبت
الأغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر مني هما
لأنني كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابي ودابة

أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد
ذلك فاسترحت
قال بعضهم
وقد يهلك الأنسان كثرة ماله ... كما يذبح
(الطاوس من أجل ريشه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 108]

عبد الله بن طاهر
ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ... ويأخذ ما
(أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه ... فلا
وكان من دعاء (يتخذ شيئاً ينال به فقدا
السلف رضي الله تعالى عنهم) اللهم اني
أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغني) وقيل
مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن
جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه
لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما
فتحت بلخ في زمن عمر رضي الله تعالى
عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها
إنما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف
من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال
الشاعر
ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل ...)

(حزيننا على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن ... على)
(حالة إلا رضيت بدونها
وقال آخر
ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد ... لكل)
(غد رزق من الله وارد
وقال هارون بن جعفر الطالبي
بوعدت همتي وقورب مالي ... ففعالي)
(مقصر عن مقالي
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع ... وهو)
(من بين ما اكتسوا سربالي
ولقد تعلم الحوادث أني ... ذو اصطبار)
وقال اعرابي من ولد (على صروف الليالي
في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في
الغنى لم يزده إلا تواضعا فما أحسن الفقر
وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر
عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا
أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

المستطرف [جزء 2 - صفحة 109]

الباب الثالث والخمسون في التلطف في

السؤال وذكر من سئل فجاد
روى الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن
أسلم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله
قال " أعطوا السائل ولو جاء على فرس
وما سئل عليه السلام شيئاً قط فقال لا
وأتى إعرابي إلى علي رضي الله تعالى
عنه فسأله شيئاً فقال والله ما أصبح في
بيتي شيء فضل عن قوتي فولى
الاعرابي وهو يقول والله ليسألك الله
عن موقفني بين يديك يوم القيامة فبكي
علي رضي الله تعالى عنه بكاء شديداً وأمر
برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية
فدفعها إلى الاعرابي وقال لا نخدع عن
فطالما كشفت بها الكروب عن وجه
رسول الله فقال قنبر يا أمير المؤمنين
كان يجزيه عشرون درهماً فقال يا قنبر
والله ما يسرنني أن لي زنة الدنيا ذهباً
وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك
وإنه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال
علي رضي الله تعالى عنه إن لكل شيء
ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح
وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك
بالعطية أبسط من لساني بالمسألة فقال
لحاجبه اُدفع إليه ألف دينار وسأل رجل
الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له ما

**وسيلتك ؟ قال وسيلتي أني أتيتك عام
أول فبررتني فقال مرحبا بمن توصل إلينا
بنا ثم وصله وأكرمه
ويقال الكريم إذا سئل ارتاح واللئيم إذا
سئل ارتاع
ولما وفد المهدي من الري إلى العراق
امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة
إني نذرت لئن رأيتك قادمًا ... أرض
(العراق وأنت ذو وقر**

المستطرف [جزء 2 - صفحة 110]

**لتصلين على النبي محمد ... ولتملأن
فقال المهدي صلى الله (دراهما حجري
على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك
للأولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر
ببذرة فصبت في حجره وسمع الرشيد
أعرابيه بمكة تقول
طحنتنا كلاكل الأعوام ... وبرتنا طوارق
(الأيام
فأتيناكمو نمد أكفا ... لالتقام من زادكم
(والطعام
فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا ... أيها
فبكى الرشيد وقال (الزائرون بيت الحرام**

لمن معه سألتكم بالله تعالى إلا ما دفعتم
إليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى
واربها كثرة وملأوا حجرها دراهم ودنانير
وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله
فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب
خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في
الله

قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان ... تنهيا صنائع)
الإحسان

فاذا أمكنت فبادر إليها ... حذرا من تعذر)
الامكان

وقال البصري

أضحت حوائجنا إليك مناخة ... معقولة)
برحابتك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها ... حتى تشور)
وعن علي رضي الله تعالى (بنا بغير عقال

عنه قال يا كميل مر أهلك أن يروحوا في
كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو

نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من
أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله تعالى

من ذلك السرور لطفًا فإذا نابتة نائبة جرى
إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه

كما تطرد غريبة الأبل

وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت

نعم الله

المستطرف [جزء 2 - صفحة 111]

عليه كثرت حوائج الناس إليه فإذا قام بما
يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء
ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه
لزوالها

وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه
كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح
العناق إذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن
عتبة يوماً فقال قد علمت ما جعل أبو
عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم
بعث إليه بخمس من الابل وبهذه الأبيات
أرى الجزار يشحذ مديتيه ... إذا هبت رياح
(بني عقيل)

طويل الباع أبلج جعفري ... كريم الجد
(كالسيف الصقيل)

وفي ابن الجعبري بما نواه ... على
فدعا لبيد بنتا له (العلات بالمال القليل
خماسية وقال يا بنية إنني تركت الشعر
فأجيبني الأمير عني فقالت
إذا هبت رياح بني عقيل ... تداعينا لهبتها)
(الوليدا)

طويل الباع أبلج عبشمي ... أعان على)
(مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن رعيا ... عليها من)
(بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرناها)
(وأطعمنا الشريدا
فعد إن الكريم له معاد ... وظني في ابن)
فقال لقد أحسنت والله يا (عتبة أن يعودا
بنية لولا أنك سألت وقلت عد فقالت يا
أبت إن الملوك لا يستحيا منهم في
المسئلة فقال والله لأنت في هذا أشعر
مني
ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك
فأشده
والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلب إليك)
(من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحدا)
(سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ... أولا)
(فارشدنا إلى من نذهب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 112]

له بألف دينار فعاد إليه من قابل وقال يا

أمير المؤمنين إن الروي لينازعني وإن
الحياء يمنعني فأمر له بألف دينار وقال
والله لو قلت حتى تنفذ بيوت الأموال
لأعطيتك

وقيل إن رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة
فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له
المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه ؟
قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض
الأوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز
من بعض فقال صدقت وقضى حاجته
وأحسن إليه

وروي أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين
يدي السفاح في بعض الأيام فقال له
سلني حاجتك

فقال كلب صيد فقال أعطوه إياه فقال
ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال
وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال أعطوه
غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا
منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير
المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار
يسكنونها

فقال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم
يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال قد
أقطعتة عشر ضياع عامرة وعشرة ضياع
غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟

قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا
أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من
فيافي بني أسد فضحك وقال اجعلوها
كلها غامرة
فانظر إلى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها
كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل
يأتي بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب
وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك
بديهة لما وصل إليه
وحكي عن المأمون أنه قال ليحيى بن
أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما
في الطريق وإذا بمقصبه خرج منها رجل
بقصبه للمأمون يتظلم له فنفرت دابته
فألقته على الأرض صريعا فأمر بضرب
عنق ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين إن
المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو
عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره
لتجاوزه ولو أحسنت الأيام مطالبتني
لأحسنت مطالبتك ولأنت علي ما لم تفعل
أقدر مني على رد ما قد فعلت قال فيكى
المأمون وقال بالله أعد علي

قلت فأعاده فالتفت المأمون إلى يحيى
بن أكثم وقال أما تنظر إلى مخاطبة هذا
الرجل بأصغريه ؟ والنبي يقول " المرء
" بأصغريه قلبه ولسانه
والله لا وقفت لك إلا وأنا قائم على قدمي
فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر إليه
فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا
أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد
يقول

ما جاد بالوفر إلا وهو معتذر... ولا عفا
(قط إلا وهو مقتدر

وكلما قصدوه زاد نائله... كالنار يوخذ)
(منها وهي تستعر

وقيل إن بعض الحكماء لزم باب كسرى
في حاجة دهره فلم يوصل إليه فكتب أربعة
أسطر في ورقة ودفعتها للحاجب فكان
في السطر الأول العديم لا يكون معه صبر
على المطالبة وفي السطر الثاني
الضرورة والأمل أقدماني عليك وفي
السطر الثالث الانصراف من غير فائدة
شماتة الأعداء وفي السطر الرابع أما نعم
فمثمرة وأما لا فمريحة
فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر
ألف دينار

وحكى أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله

فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل
أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله
على الخروج من البلاد في طلب المعيشة
وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما
رأت زوجها تهباً للسفر قالت له إذا
سافرت من الذي ينفق علينا ؟ قال إن لي
على ابن عبيد الله دينار ومعني به أشهاد
عليه شرعي فخذني الأشهاد وقدميه إليه
فإذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر
ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الأبيات
يقول

قالت وقد رأت الأحمال محدجة ... والبين
(قد جمع المشكو والشاكي
من لي إذا غبت في ذا المحل قلت لها ...)
فمضت إليه (الله وابن عبيد الله مولاكي
المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته
بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق
زوجك وما زال ينفق عليها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 114]

بالبر والاحسان إلى أن قدم زوجها
فشكره على فضله وإحسانه
وحكي أن مطيع بن أياس مدح معن بن

زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه
فلما فرغ من إنشاده أراد معن أن يبسطه
فقال يا مطيع إن شئت أعطيناك وإن
شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع
من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو
محتاج فلما خرج من عند معن أرسل إليه
بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحب نعمة)
(وأخي ثراء)

ولكن الزمان برى عظامي ... ومالي)
فلما قرأها معن ضحك (كالدراهم من دواء
وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له
بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر
هزرتك لا إني جعلتك ناسيا ... لأمري ولا)
(إني أردت التقاضيا)

ولكن رأيت السيف من بعد سله ... إلى)
(الهز محتاجا وإن كان ماضيا)
وقال لآخر

ماذا أقول إذا رجعت وقيل لي ... ماذا)
(لقيت من الجراد الأفضل)
إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل ... بخل)
(الجواد بماله لم يجمل)
فاختر لنفسك ما أقول فأنني ... لا بد)
(أخبرهم وإن لم أسئل)
وقال آخر

لنوائب الدنيا خباتك فانتبه ... يا نائما من
(جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي ... أم)
(في المعاد تجود بالانعام

المستطرف [جزء 2 - صفحة 115]

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر
شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه
روي عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك
الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال كنا
عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة
فقال ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا
أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد
بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله
نبايعك ؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا
الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا
الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر
يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله
إياه رواه مسلم وقال رجل لابنه إياك أن
تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه
وكان لقمان يقول لولده يا بني إياك
والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه

وأعظم من هذا استخفاف الناس بك
وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام
لأن تدخل يدك فم التين إلى المرفق خير
لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في
الفقر وقيل لأعرابي ما السقم الذي لا
يبرأ والجرح الذي لا يندمل ؟ قال حاجة
الكريم إلى اللئيم وقال أبو محلم السعدي
إذا رماك الدهر في الضيق فانتجع ...)
(قديم الغنى في الناس إنك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن)
(لا يورث المجد والده
وقال رسول الله " مسألة الناس من
الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها "
وقال عليه الصلاة والسلام " لأن يأخذ
أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له
" من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه
قال الشاعر
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا)
(ولو نال الغني بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح)
(السؤال وخف كل نوال
وقال أحمد الأنباري
لموت الفتى خير من البخل للغنى ...)
(وللبخل خير من سؤال بخيل)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 116]

- (لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق)
(انسانا بوجه ذليل
وقال سلم الخاسر
إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على)
(رسله)
(فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل)
(الله من فضله)
ويقال أحب الناس إلى الله من سأله
وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم
وسألهم وفي هذا المعنى قيل
لا تسألن من ابن آدم حاجة ... وسل الذي)
(أبوابه لا تحجب)
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم)
وقال محمود الوراق (حين يسئل يغضب
شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من)
(كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... يا ذا)
وقال ابن دقيق (الضراعة طالبا من طالب
العيد
وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا)
(الدهر الشديد بناه
فقلت لها من كان غاية قصده ... سؤالا)

(لمخلوق فليس بناه
إذا مات من يرجى فمقصودنا الذي ...)
وقال بعض أهل (ترجمته باق فلو ذي بيا به
الفضل
لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو ... لجأت)
(لله لباني وأغناني
واها على بذل وجهي للورى سفها ... فلو)
وسأل رجل رجلا (بذلت إلي مولاي والاني
حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة
أقل من قيمة فردني رد أقبح من خلقته
وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 117]

علم الله تعالى أن لكل قوم شيئا يفرعون
إليه وأنا أفرع منك
ويقال لا شيء أوجع للأخيار من الوقوف
بباب الأشرار وقال الإمام الشافعي رحمه
الله تعالى
بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من
(غدا والبخل ملء إهابه
فجردت من غمد القناعة صارما ...)
(قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه ... ولا ذا)

- (يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم ... وليس)
(الغنى إلا عن الشيء لا به
إذا ظالما يستحسن الظلم مذهباً ... ولج)
(عتوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الليالي فإنها ... ستبدي)
(له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمرداً ... يرى النجم)
(تيتها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته ... أناخت)
(صروف الأحداث ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ... ولا)
(حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالأمر الذي كان فاعلاً ... وصب)
(وقال آخر) عليه الله سوط عذابه
لا تسألن إلى صديق حاجة ... فيحول عنك)
(كما الزمان يحول
واستغن بالشيء القليل فانه ... ما صان)
(عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاءه ... وأخو)
(الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما في كفه ... ومتى)
(وقال آخر) علقت به فأنت ثقيل
ليس جوداً أعطيته بسؤال ... قد يهز)
(السؤال غير جواد

إنما الجود ما أتاك ابتداء ... لم تذق فيه)
(ذلة الترداد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 118]

وقال آخر
لا تحسبن الموت موت البلى ... إنما)
(الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... أخف من ذاك لذل)
وقال الشافعي رضي الله تعالى (السؤال
عنه
قنعت بالقوت من زماني ... وصنت)
(نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا ... فضل فلان)
(على فلان
من كنت عن ماله غنيا ... فلا أبالي إذا)
(جفاني
ومن رأني بعين نقص ... رأيته بالتي رأني)
(
ومن رأني بعين تم ... رأيته كامل)
(والله سبحانه وتعالى أعلم) المعاني
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 119]

الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا
والتحف وما أشبه ذلك
قال الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها أو ردوها) فسرها بعضهم
بالهدية وقال " تهادوا تحابوا فانها تجلب
المحبة وتذهب الشحناء " وقال " الهدية
مشتركة " وقال " من سألكم بالله
فاعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن
أهدى إليكم كريعا فاقبلوه " وكان يقبل
الهدية ويشيب عليها ما هو خير منها وفي
الأثر الهدية تجلب المودة إلى القلب
والسمع والبصر ومن الأمثال إذا قدمت
من سفر فأهد أهلك ولو حجرا
وقال الفضل بن سهل ما استرضى
الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت
السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل
المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية
وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون
دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي أنه قال
" من أتاه الله رزقا من غير مسألة ورده
فكأنما رده على الله تعالى " وأهدى
رسول الله هدية إلى عمر فردها فقال يا

عمر لم رددت هديتي ؟ فقال رضي الله
تعالى عنه إني سمعتك تقول خيركم من
لم يقبل شيئاً من الناس فقال يا عمر إنما
ذاك ما كان عن ظهر مسألة فإما إذا أتاك
من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله
إليك
وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول
الله يقول " تهادوا فإنه يضاعف الحب
" ويذهب بغوائل الصدور
ويقال في نشر المهادة طي المعادة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 120]

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن
قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه
مكاتبة يعتذر بها أهدي إلى سليمان بن
داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء
متباينة في يوم واحد
فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك
وفرس من ملك العرب وجوهر من ملك
الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من
ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من
ملك البعوض
فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع

الأضداد وأهدى ملك الروم إلى المأمون
هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون
ضعفها مائة مرة ليعلم عز الإسلام ونعمة
الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا
على حملها قال ما أعز الأشياء عندهم ؟
قالوا المسك والسمور وقال وكم في
الهدية من ذلك ؟ قالوا مائتا رطل مسكا
ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى إلى
المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة
اثنين وثمانين ومائتين هدية كان فيها
عشرون صينية ذهب في عشرة منها
مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا
وعشرون صينية فضة في عشرة منها
مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا
وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف
دينار وعلمت شمامات ليوم النيروز بلغت
النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار
وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى
المعتضد على الله هدية في بعض السنين
من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم
ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على
عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه
ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة
عشر إنسانا ومائة رطل من مسك ومائة
رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم

وأهدت ثريا بنت الأوباري ملكة افرنجة وما
والاها إلى المكتفي بالله في سنة ثلاث
وسبعين ومائتين خمسين سيفاً وخمسين
رمحاً وعشرين ثوباً منسوجاً بالذهب
وعشرين خادماً صقليةً وعشرين جارية
صقليةً وعشرة كلاب كبار لا تطيقها
السباع وستة بازات وسبع صقور

المستطرف [جزء 2 - صفحة 121]

ومضرب حرير مثلون بجميع الألوان كلون
قوس قزح يتلون في كل ساعة من
ساعات النهار وثلاثة أطيّار من الأطيّار
الافرنجية إذا نظرت إلى الطعام أو
الشراب المسموم صاحت صياحاً منكراً
وصفقت بأجنحتها حتى يعلم ذلك وخرزا
يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير
وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في
قدر البغل وأذانها شبه أذان البغل وهي
مخططة تخطيطاً عاماً لجميع خلقها
وأهدى قسطنطين ملك الروم إلى
المستنصر بالله في سنة سبع وثلاثين
وأربعمئة هدية عظيمة اشتملت قيمتها
على ثلاثين قنطاراً من الذهب الأحمر كل

قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة
ذلك ثلاثمائة ألف دينار عربية
وحكي أن الخيزران جارية المهدي كانت
أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب
دواء فأنفذت إليه جام بلور فيه شراب
اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال
وكتبت إليه تقول
إذا خرج الإمام من الدواء ... وأعقب)
بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب ... بهذا الجام)
من هذا الطلاء
فينعم للتي قد أنفذته ... إليه بزورة بعد)
فسر بذلك ووقعت الجارية منه (العشاء
أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها
يومين وأهدى الصابي إلى عضد الدولة
اسطرلابا في يوم المهرجان وكتب إليه
يقول
أهدى إليك بنو الأملاك واحتفلوا ... في)
(مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... سمو)
(قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالأرض يهديها إليك وقد ...)
وأهدى (أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه
رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب
معها بأن الهدية إذا كانت من الصغير إلى

الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى
وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير
فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع

المستطرف [جزء 2 - صفحة 122]

مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران
دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم
يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو
سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة
التي أهديتها إليكم وإن ذكر حادث قال
ذلك قبل أن أهدي لكم الدجاجة بشهر وما
كان بين ذلك وبين إهداء الدجاجة إلا أيام
قلائل فصارت مثلاً لمن يستعظم الهدية
ويذكرها

قال الشاعر

وإن امرأ أهدي إلي صنيعة ... وذكرنيها
وقال سفيان الثوري إذا أردت (مرة للثيم
أن تتزوج فأهد للأم وكان سفيان يروي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من
أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه
فيها فأهدى إليه صديق له ثياباً من ثياب
مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال إنما
ذلك فيما يؤكل ويشرب أما في ثياب مصر

فلا وكتب الحمدوني إلى جارية اسمها
برهان وقد حج مواليها فقال
حجوا مواليك يا برهان واعتمروا ... وقد
(أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفيني بما قد أطرفوك به ... ولا تكن
(طرفتي غير المساويك
ولست أقبل إلا ما جلوت به ... ثنيتك وما
وكتب بعضهم إلى صديقه (رددت في فيك
وقد أهدى إليه هدية يسيرة يقول
تفضل بالقبول علي إني ... بعثت بما
وأهدى بعضهم إلى (يقل العبد عندك
صديقه هدية في يوم نيروز وكتب إليه
يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطفاف
العبيد للسادة وقدر الأمير يجلس عما تحيط
به المقدره وفي سؤدده ما يوجب التفضل
ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما
بأنه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما
قل فإن رأى أن يتطول بقبول القليل
كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول
رأيت كثير ما يهدى إليكم ... قليلا
(فاقترت على الدعاء

الحسن بن عمارة إن الأعمش يقع فيه
ويقول ظالم ولي المظالم فأهدى إليه
هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد
لله الذي ولي علينا من يعرف حقوقنا
فقليل له كنت تدمه ثم الآن تمدحه فقال
حدثني خيثمه عن عبد الله أن رسول الله
قال " جبلت القلوب على حب من أحسن
إليها وبغض من أساء إليها) وقال عبد
الملك ابن مروان ثلاثة أشياء تدل على
عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه
والرسول يدل على عقل مرسله والهدية
تدل على عقل مهديها
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 124]

الباب الخامس والخمسون في العمل
والكسب والصناعات والحرف وما أشبه
ذلك
أما العمل فقد روي عن النبي أنه قال "
أفضل العمل أدومه وإن فل " وقال علي
بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قليل
مدام عليه خير من كثير مملول وفي

التوراة حرك يدك افتح لك باب الرزق
وكان إبراهيم بن أدهم يسقي ويرعى
ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع
ويحصد بالنهار ويصلي بالليل وعن علي
رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى
النبي فقال يا رسول الله ما ينفي عني
حجة العلم ؟ قال العمل

وعنه أنه قال " الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى "
وقال الأوزاعي إذا أراد الله بقوم سوء
أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد
يقول

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي)
(صالح الأعمال نفسك فاجعل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 125]

وقال بعض الحكماء لا شيء أحسن من
عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن
حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على
إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين
فقال له عطني فقال له الولي بلغني
رحمك الله أن الأعمال الأحياء تعرض على

أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على
رسول الله من عملك
فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه وقيل
من جد وجد وأنشدوا في المعنى
إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر)
(عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله ...)
وتقول (واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
العرب فلان وثاب على الفرص وقال
بعضهم
وإني إذا باشرت أمرا أريده ... تدانت)
وعن أنس رضي الله (أقاصيه وهان أشده
تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع إثنان
ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله
فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله
وقال بعضهم العمل سعي الأركان إلى
الله والنية سعي القلوب إلى الله والقلب
ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك إلا
بالجنود ولا الجنود إلا بالملك وقيل الدنيا
كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله
هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا
موضع الاخلاص هذا هو العمل
وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله
تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي
دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة

والسلام كان يدور في الصحاري فإذا رأى
من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فإذا
سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه
فسمع يوماً من يقول إني لا أجد في داود
عيباً إلا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك
صلى داود عليه الصلاة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 126]

في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى
وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته
فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في
يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على
أمره وسار يحكم منها الدروع
وقال رسول الله (جعل رزقي تحت ظل
رمحي فكانت حرفته الجهاد) وقال رسول
الله " إن الله يحب العبد المحترف " وقال
" إن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ "

وقال عليه الصلاة والسلام " من اكتسب
قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى
يوم القيامة " ولو تعلمون ما أعلم من
المسألة لما سأل رجل رجلاً شيئاً وهو يجد
قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد

يأكل من كسب يده إن اله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي " من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له " وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران إن ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى إن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا ف قيل له في ذلك فقال إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعي خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إن) وقيل إن أول من (الجلوس مع العيال قبيح صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس إنما يزنون بالشاهيني وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله سعر لنا

فقال إن الله الخالق القابض المسعر
الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله تعالى
وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في
أهل ولا مال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 127]

وأما ما جاء في العجز والتواني فقد روي
عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه
قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن
العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه
وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه
قال الشاعر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده (...)
ومثله (ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا
قوله

على المرء أن يسعى ويبذل نفعه (...)
وقيل احذر (وليس عليه أن يساعده الدهر
مجالسة العاجز فانه من سكن إلى عاجز
أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده
قلة الصبر ونسائه ما في العواقب وليس
للعجز ضد إلا الحزم

وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة
الأمانى ومن التوفيق بغض التواني وروي

عن رسول الله أنه قال " باكروا في طلب
الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح "
وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى
عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس
فانه لا سبيل إلى السلامة من السنة
الناس وقال علي رضي الله تعالى عنه
التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسل
تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم
يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد وقال
حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على
المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة
والتواني هلكة والكسل شؤم وكلب طائف
خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم
يعتلف

وقيل من العجز والتواني تنتج الفاقة قال
هلال بن العلاء الرفاء هذين البيتين من
جملة أبيات

كأن التواني أنكح العجز بنته ... وساق)
(إليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيبئا ثم قال لها اتكي ... فإنكما)
وقال آخر (لا بد أن تلدا الفقرا
توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا)
(ترغبن في العجز يوما عن الطلب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 128]

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك
(الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته)
وسأل معاوية (ولكن كل رزق له سبب
رضي الله عنه سعيد بن العاص عن
المروءة فقال العفة والحرفة
وكان أيوب السخيتاني يقول يا فتیان
احترفوا فإني لا آمن عليكم أن تحتاجوا
إلى القوم يعني الأمراء وقال رجل
للحسن إني أنشر مصحفي فأقرؤه بالنهار
كله فقال اقرأه بالغداة والعشي ويكون
يومك في صنعتك وما لا بد منه ومر رحمه
الله تعالى باسكاف فقال يا هذا اعمل
وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا
يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام
أعاذلتي ما أحسن الليل مركبا ... وأحسن)
(منه في الملمات راكمه
ذريني وأهوال الزمان أقاسها ... فأهواله)
(العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليدا لقسمه ... ولو)
(كلف المقوى لكنت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفاه ... ولولا)
(التقى ما أعجزته مذاهبه

وليس بعجز المرء أخطأه الغنى ... ولا
وقال آخر (باحتيال أدرك المال كاسبه
فلا تركز إلى كسل وعجز ... يحيل على)
وقال اعرابي العاجز هو (المقادر والقضاء
الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى
المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان
عن الحزم فيمثل له التواني في صورة
التوكل ويريه الهوينا بأحاله على القدر
وقال لقمان لابنه يا بني إياك والكسل
والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا
ضجرت لم تصبر على حق وقال أبو
العتاهية
إذا وضع الراعى على الأرض صدره ...)
فالتواني هو (فحق على المعزى بأن تتبددا
الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على
مصالح النفس

المستطرف [جزء 2 - صفحة 129]

وترك التسبب والاحتراف والاحالة على
المقادير وهذا من أقبح الأفعال
وأما التانى فانه خلاف التواني وهو الرفق
ورفض العجلة والنظر في العواقب وقد
قيل من نظر في عواقب الأمور سلم من

آفات الدهور

ومما جاء في ذلك قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) وقال رسول الله " من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة " وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة " عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئاً إلا زانه ولا يفارق شيئاً إلا شانه " وفي التوراة الرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة

ووجد على سيف مكتوبا التآني فيما لا يخاف الفوت أفضل من العجلة في إدراك الأمل وقال بعض الحكماء إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا في ذلك قد يدرك المتآني بعض حاجته ... وقد وقالوا التآني (يكون مع المستعجل الزلل حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتآني فبماذا يدرك ؟ وقال المهلب أتاة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت وقالوا من تآنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لأن صاحبها

يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم
ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب
وإن تصحب هذه الصفة أحد إلا صحب
الندامة وجانب السلامة
وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد
روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال
قال رسول الله " عمل الأبرار من الرجال
" الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 130]

وكان يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويحلب
شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن
المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل
كان إدريس عليه السلام خياطا ووقف
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على
خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل
صلب الخياط ودقق الدروز وقارب الغروز
فإني سمعت رسول الله يقول " يحشر
الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء
مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان
صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادي
وتطلب المكافأة " وقال فيلسوف إن من
القبيح أن يتولى امتحان الصناعات من ليس

بصانع وفي الحديث " أكذب أمتي
الصواغون الصباغون وكذب الدلال مثل "
وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال
الدلال الكذب وقال عبد الرحمن ابن شبل
سمعت رسول الله يقول " التجار هم
الفجار ف قيل أليس الله تعالى قد أحل
البيع ؟ قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون
ويحلفون فيحشون " وقال الفضيل بخس
الموازين سواد في الوجه يوم القيامة
وإنما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا
الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل
والميزان

وقال مجاهد في قوله تعالى (واتبعك
الأردلون) قيل هم الحاكة الاساكفة وقيل
إن حائكا سأل إبراهيم الحربي ما تقول
فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي
يجب عليه " فتبسم إبراهيم ثم قال
يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا
أن نفرح المساكين من مال هذا الأحمق
وقيل لرجل هل فيكم حائك ؟ قال لا قيل
فمن ينسج لكم ثيابكم ؟ قال كل منا ينسج
لنفسه في بيته وكان أردشير ابن بابك لا
يرتضي لمنادته ذا صناعة رديئة كحائك
وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال
كعب لا تستشيروا الحاكة فإن الله تعالى

سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لأن
مريم عليها السلام مرت بجماعة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 131]

من الحياكين فسألتهم عن الطريق
فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله
البركة من كسبكم وقال أبو العتاهية
ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك)
(للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا صحح)
وهذا ما أردناه (التقوى وإن حاك أو حجم
سياقة في هذا الباب والله الموفق
للصواب وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 132]

الباب السادس والخمسون في شكوى
الزمان وانقلابه بأهله والصبر على
المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه
ثلاثة فصول الفصل الأول في شكوى

الزمان وانقلابه بأهله
روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه
قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة
إلا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من
نبيكم وكان معاوية رضي الله تعالى عنه
يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى
ومنكره معروف زمان لم يأت وكانت ناقة
رسول الله العضباء لا تسبق فجاء اعرابي
فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي
الله عنهم فقال " إن حقا على الله أن لا
يرفع شيئا من هذه الدنيا إلا وضعه "
وحكي عن شيخ من همدان قال بعثني
أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع الحميري
بهدايا فمكثت شهرا لا أصل إليه ثم بعد
ذلك أشرف أشرافه من كوة فخر له من
حول القصر سجدا ثم رأته من بعد ذلك
وقد هاجر إلى حمص واشترى بدرهم لحما
وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه
الأبيات
أف للدنيا إذا كانت كذا ... أنا منها في بلاء)
وأذى)
إن صفا عيش امرئ في صحبتها ... جرعته)
(ممسيا كأس الردى)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 133]

ولقد كنت إذا ما قيل من ... أنعم العالم (وقال يونس بن ميسرة لا) عيشا قيل ذا يأتي علينا زمان إلا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان إلا بكينا عليه ومن قول ذلك رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره) بكيت عليه ومثله وما مر يوم أرتجي فيه راحة ... فأخبره إلا) ومن كلام ابن الأعرابي (بكيت على أمسي عن الأيام عد فعن قليل ... ترى الأيام في) وقال رضي الله عنه ما قال (صور الليالي الناس لشيء طوبى إلا وقد خبا له الدهر يوم سوء قال الشاعر فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا) ودخل داود (الدار بالدار التي كنت أعهد عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري إلى أن بعثت زنبिला من الدراهم لي في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبिला من الجواهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكاني فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه

الأرض أغنى منه أماته الله كاماتني وذكر
أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان
حاز من الأموال ما قدر لنفسه أنه إن عاش
مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم
على نفسه أنه يكفيه فرؤي بعد مدة وقد
احتاج إلى أن باع حلية مصحفه وأنفقها
وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على
صالح مولى منارة في يوم شات وهو
جالس في قبة مغطاة بالسمور وجميع
فروشها سمور وبين يديه كانون فضة
يبخر فيه بالعود ثم رأته بعد ذلك في رأس
الجسر وهو يسأل الناس

المستطرف [جزء 2 - صفحة 134]

ولما قتل عامر بن إسماعيل مروان بن
محمد ونزل في داره وقعد على فرشه
دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا
عامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه
وأقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال
مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه
الجواري بالدفوف ويقلن
إلا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يغدر
(بصاحبك الزمان)

فنعم الدار تأوي كل ضيف ... إذا ما ضاق)
ثم مررت عليه بعد حين (بالضيف المكان
وهو خراب وبه عجوزا فسألتهما عما كنت
رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله إن الله
يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد
والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان
وقال أبو العتاهية

لئن كنت في الدنيا بصيرا فإنما ... بلاغك)
(منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما)
وقال عبد الملك (فاته منها فليس بضائر
بن عمير رأيت رأس الحسين رضي الله
عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة ثم
رأيت رأس زياد بين يدي المختار ثم رأيت
رأس الختار بين يدي مصعب ثم رأيت رأس
مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان
فقلت له كم كان بين أول الرؤوس وآخرها
؟ قال اثنا عشرة سنة

إن للدهر صرعة فاحذرنها ... لا تبيتن قد)
(أمنت الشرورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى ... ولقد)
وكان محمد بن عبد الله (كان أمنا مسرورا
بن طاهر في قصره على الدجلة ينظر فإذا
هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه
قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فإذا فيها

مكتوب شعرا وهو للشافعي رضي الله
تعالى عنه
تاه الأعيرج واستعلى به البطر... فقل له
(خير ما استعملته الحذر
أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت... ولم
(تخف سوء ما يأتي به القدر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 135]

وسالمتك الليالي فاغتررت بها... وعند
قال فما انتفع (صفو الليالي يحدث الكدر
بنفسه وأعجب ما وجد في السير خبر
القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك
وخروجه إلى الجامع في بطانة جبة بغير
ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان
ملكه لأقطار الأرض فتبارك الله يعز من
يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد
المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال
ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع
رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث إلا
أنه من أهل الأدب إذ أنشده يقول
ألا موت يباع فأشتره... فهذا العيش ما
(لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر... تصدق

قال فرثى له رفيقه (بالوفاء على أخيه
وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ
الأبيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى إلى
الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل
الذي كان رفيقه فتوصل إلى إيصال رقعة
إليه مكتوب فيها
إلا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكر
(ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضعك عيش ... ألا موت)
فلما قرأها نذكر فأمر له (يباع فأشتره
بسبعمئة درهم ووقع تحت رقعة (مثل
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل
سنبله مائة حبة) ثم قلده عملا يرتزق منه
ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد
الملك بن مروان فقال له أي الزمان
أدركته أفضل وأي الملوك أكمل ؟ فقال
أما الملوك فلم أر إلا حامدا وذاما وما
الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم
يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم
ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال
حبيب بن أوس
لم أبك من زمن لم أرض خلته ... إلا بكيت)
(عليه حين ينصرم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 136]

- وقال آخر
يا معرضا عني بوجه مدبر ... ووجه دنياه
(عليه مقبلة)
هل بعد حالك هذه من حالة ... أو غاية إلا
وقال عبد الله بن عروة (انحطاط المنزلة
بن الزبير
ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... بشوا إلي)
(ورحبوا بالمقبل
وبقيث في خلف كأن حديثهم ... ولغ)
وقال آخر (الكلاب تهارشت في المنزل
في معناه
يا منزلا عبث الزمان بأهله ... فأبادهم)
(بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة ... كان الزمان)
(بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع ... إلا وفيه)
(للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقي)
وقال إسحاق بن (الذين حياتهم لا تنفع
إبراهيم الموصلي
وإني رأيت الدهر منذ صحبته ... محاسنه)
(مقرونة ومعاييه

إذا سرني في أول الأمر لم أزل ... على)
وقال بعضهم (حذر من أن تدم عواقبه
ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ...)
(والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضه ... بعضا)
(ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم ... حنت)
(يمينك يا زمان فكفر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 137]

يقال إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث
يأتي الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف
جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد
البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب
وقال بعضهم نحن في زمن لا يزداد الخير
فيه إلا إدبارا والشر إلا إقبالا والشيطان
في هلاك الناس إلا طمعا اضرب بطرفك
حيث شئت هل تنظر إلا فقيرا يكابد فقرا
أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ
بحق الله وفرا أو متمردا كان بسمعه عن
سماع المواعظ وقرا وقال آخر نحن فلي
زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب وإذا
ذكرنا الأحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك

قوله " لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه " ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل بيت ما من مسيء وإن طالت إساءته ... إلا (وقال الأمين) ويكفيك يوم من مساويه يا نفس قد حق الحذر ... أين المفر من (القدر) كل امرئ مما يخاف ... ويرتجيه على (خطر) من يرتشف صفو الزمان ... يغص يوما (وقال بعضهم) بالكدر وقائلة ما بال وجهك قد نضت ... محاسنه (والجسم بان شحوبه فقلت لها هاتي من الناس واحدا ... صفا) وللأمير أبي علي بن (وقته والنائب تنوبه منقذ أما والذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو) بالسر المكتم أعلم (لئن كان كتمان المصائب مؤلما ...) لإعلانها عندي أشد وأعظم (وبني كل ما يبكي العيون أقله ... وإن كنت) منه دائما أبتسم

وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم إلا بذنوب اقترفوها لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا إل ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد... وهم فسدوا
وكفى بالقرآن واعظا (وما فسد الزمان
قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم) والله سبحانه
وتعالى أعلم

الفصل الثاني في الصبر على المكاره
ومدح التثبت ودم الجزع
قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز
في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر
الخيرات مضافا إلى الصبر وأثنى على
فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث
على التثبت في الأشياء ومجانبة
الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى (يا
أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة
وإن الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل
الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون

المصلين قوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) وقوله تعالى (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) وبالجمله فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه به فقال تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وقد روي عن النبي في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله

المستطرف [جزء 2 - صفحة 139]

في الصبر " وقوله عليه الصلاة والسلام " بالصبر يتوقع الفرج " وقوله " الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد " وقال الأشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على

العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير
المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه
الشدة ؟ فما زادني إلا أن قال
اصبر على مضمض الإدلاج في السحر ... ()
(وفي الروح إلى الطاعات في البكر
إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر)
(عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤمله ... واستصحب)
فحفظتها منه (الصبر إلا فاز بالظفر
وألزمت نفسي الصبر في الأمور فوجدت
بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي
هريرة رضي الله عنهما عن النبي أنه قال
" ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا
هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها إلا حط الله بها من خطاياها " وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله " إذا أراد الله بعبد الخير عجل
له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد
الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم
القيامة " وقال " إن أعظم الجزاء مع
عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله
السخط " رواه الترمذي وقال حديث حسن
وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن
أنس بن مالك قال قال النبي " الضرب

على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر
والصبر عند الصدمة الأولى وعظم الأجر
على قدر المصيبة ومن استرجع بعد
" مصيبتة جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها "

المستطرف [جزء 2 - صفحة 140]

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال احفظوا عني خمساً اثنتين
واثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم إلا ذنبه
ولا يرجو إلا ربه ولا يستحي أحد منكم إذا
سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا
أعلم وأعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة
الرأس من الجسد إذا فارق الرأس الجسد
فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور
فسدت الأمور وأيما رجل حبسه السلطان
ظلماً فمات في حبسه مات شهيداً فان
ضربه فمات فهو شهيد
وروي في الخبر لما نزل قوله تعالى (من
يعمل سوء يجز به) قال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفرغ
بعد هذه الآية ؟ فقال رسول الله غفر الله
لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك
الأذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله

قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما
يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا
اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الأختيار إلا
بالصبر على الشدة والبلاء
وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه
قال بينما رسول الله يصلي عند الكعبة
وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت
جزور بالأمس فقال أبو جهل لعنه الله
أيكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على
كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم
فأخذه وأتى به فلما سجد وضع بين كتفيه
السلا والفرت والدم فضحكوا ساعة وأنا
قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته
عن ظهر رسول الله والنبي ساجد ما يرفع
رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة
رضي الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره
ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى
الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم
عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم
صوته ودعائه ذهب عنهم الضحك وخافوا
دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعتبة
وشيبة وربيعة

والوليد وأمّية بن خلف فقال علي رضي
الله عنه والذي بعث محمداً بالحق رأيت
الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان
الصالحون يفرحون بالشدة لأجل غفران
الذنوب لأن فيها كفارة السيئات ورفع
الدرجات وروي عن رسول الله أنه قال "
ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا
والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء
والدعاء في الرخاء
وحكي أن امرأة من بني إسرائيل لم يكن
لها إلا دجاجة فسرقها سارق فصبرت
وردت أمرها إلى الله ولم تدع عليه فلما
ذبحها السارق واتف ريشها نبت جميعه
في وجهه فسعى في إزالته فلم يقدر
على ذلك إلى أن أتى حبراً من أحبار بني
إسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء إلا
أن تدعو عليك هذه المرأة فأرسل إليها من
قال لها أين دجاجتك ؟ فقالت سرقت
فقال لقد أذاك من سرقها قالت قد فعل
ولم تدع عليه قال وقد فجعتك في بيضها
قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار
الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش
من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت
ذلك ؟ قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه

انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها
ودعت عليه سقط الريش من وجهه
فالواجب على العبد أن يصبر على ما
يصيبه من الشدة ويحمد الله ويعلم أن
النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وأن
المصائب والرزايا إذا توالى أعقبها الفرج
والفرج عاجلا
ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم
وإذا مسك الزمان بضر ... عظمت دونه)
(الخطوب وجلت
وأنت بعده نوائب أخرى ... سئمت نفسك)
(الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الأمانى ... فالرزايا)
(إذا توالى تولت
وإذا أوهنت قواك وجلت ... كشفت عنك)
ولمحمد بن بشر الخارجي (جملة وتخلت
إن الأمور إذا اشتدت مسالكها ... فالصبر)
(يفتح منها كل ما ارتجا)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 142]

لا تيأسن وإن طالت مطالبه ... إذا)
ولزهير بن (استعنت بصبر أن ترى فرجا
أبي سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ... ويذهل)
(عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها ... وفرقة)
وقال بعضهم (أخوان وفقد حبيب
عليك باظهار التجلد للعدا ... ولا تظهرن)
(منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا ... ويطرح)
ولابن نباتة (في البيدا إذا ما تغيرا
صبرا على نوب الزمان ... وإن أبي القلب)
(الجريح
(فلكل شيء آخر ... إما جميل أو قبيح)
وقال أبو الأسود وأجاد
وإن امرء قد جرب الدهر لم يخف ...)
(تغلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والأيام إلا كما ترى ... رزية مال)
ومن كلام الحكماء ما جوهدي (أو فراق حبيب
الهوى بمثل الرأي ولا استنبط الرأي بمثل
المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة
ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما
استنجحت الأمور بمثل الصبر وقال نهشل
ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم)
(يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبيرا جميلا وإنما ... تفرج أبواب)
قال ابن طاهر (الكريهة بالصبر
حذرتني وذا الحذر ... ليس يغني من)

(القدر
ليس من يكتم الهوى ... مثل من باح)
(واشتهر)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 143]

(إنما يعرف الهوى ... من على مره صبر)
(نفس يا نفس فاصبري ... فز بالصبر من)
وكان يقال من تبصر تبصر وكان (صبر
يقال إن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم
الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر إلا
بالصبر ولله در القائل
الدهر أدبني والصبر رباني ... والفوت)
(أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الأيام تجربة ... حتى نهيت)
وما أحسن ما قال (الذي قد كان ينهاني
محمود الوراق
إني رأيت الصبر خير معول ... في)
(النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت ... بعري)
(الغنى فجعلتها لي معقلا
فاذا نبا بي منزل جاوزته ... وجعلت منه)
(غيره لي منزلا
وإذا غلا شيء علي تركته ... فيكون)

وقال بعضهم (أرخص ما يكون إذا غلا
إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة ... فافرع لها)
(صبرا ووسع لها صدرا)
فان تصاريف الزمان عجيبة ... فيوما ترى)
وقال بعضهم (يسرا ويوما ترى عسرا
وما مستني عسر ففوضت أمره ... إلى)
وما أحسن ما قيل (الملك الجبار إلا تيسرا
الدهر لا يبقى على حالة ... لا بد أن يقبل)
(أو يدبر)
فان تلقاك بمكروهه ... فاصبر فان الدهر)
ونقل عن محمد بن الحسن رحمه (لا يصبر
الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما
من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي
وكادت نفسي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 144]

أن تزهق وضائق علي الأرض بما رحبت
وإذا برجل عليه آثار العيادة قد أقبل علي
ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك ؟
فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد
روي عن النبي أنه قال " الصبر ستر
الكروب وعون على الخطوب " وروي عن
ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال

الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله ... عند (الإله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمه ... ألوت) فقلت بالله عليك (يداه بحبل غير منقطع

زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما

يحضرني شيء عن النبي ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ومن)

ليس في كل الأمور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ... لقد)

ثم ذهب (يجتني من بعده الثمر الحلو

فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه

أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في

ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور

عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع

في نفسي أنه من الأبدال الصالحين قيضه

الله تعالى لي يوقظني ويؤبني ويسليني

وقيل إن رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد

جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه

فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال

له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد ؟ فقال

بلى قال لم لا تصيح ؟ فقال إن في هذا

القوم الذين وقفوا علي صديقا لي يعتقد

في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه

فأخشى إن ضجيت يذهب ماء وجهي عنده
ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة
الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر
على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ...)
(ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره ... لقد قل)
وقال رسول الله (فيما يرتجيه نصيبه
لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة إن
الله تعالى لم يرض من أولى العزم من
الرسل إلا بالصبر ولم يكلفني إلا ما كلفوا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 145]

به فقال عز وجل (فاصبر كما صبر أولو
العزم من الرسل) وإني والله لأصبرن كما
صبروا فإن النبي لما صبر كما أمر أسفر
وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك
الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا
ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم
فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل
رضي الله تعالى عنه هم نوح وإبراهيم
وإسحاق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات
الله عليهم وقال قتادة هم نوح وإبراهيم

وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم
الله تعالى أولي العزم فأقول ذكر ما
صبروا عليه

أما نوح عليه الصلاة والسلام
فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام
يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته
يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج إلى قومه
ويدعوهم إلى الله تعالى ولما أيس منهم
ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على
عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر
إلى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له
ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من
أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام
شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال
رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن
لك فيهم حاجة فاهداهم وإلا فصبرني إلى
أن تحكم فأوحى الله تعالى إليه (إنه لن
يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا نبتئس
بما كانوا يفعلون واصنع الفلك) قال يارب
وما الفلك ؟ قال بيت من خشب يجري
على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي
وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء
؟ قال أنا على كل شيء قدير قال يارب

وأني الخشب ؟ قال اغرس الخشب فغرس
الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم
وكفوا عن ضربه إلا أنهم كانوا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 146]

به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها
وجففها وقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت
؟ قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له
جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى إليه أن
عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على
من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر
الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته
وإهلاك قومه وعذابهم إلا من آمن معه
وفار التنور وظهر الماء على وجه الأرض
وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب
حتى عطم الماء وصارت أمواجه كالجبال
وعلا فوق أعلى جبل في الأرض أربعين
ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من
الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة
والسلام وفي تمام قصته وحديث السفينة
كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا
موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح
عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه

وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهم أبلغ من إحراقه فأخذوه وحبسوه بيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا في سفح جبل عال ونادى مناد ملكهم أن احتطبوا لإحراق إبراهيم زمن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤوس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال (حسبي الله ونعم الوكيل) وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 147]

فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الأرض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير أكتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه باخس الأشياء وانتقم منهم وظفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمية ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءتته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامثال وسارع إلى ذبحه من غير إهمال ولا إهمال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة ظهر صدقه ورضاه ومبادرته إلى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداء واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فإنه صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم

عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال إني أريد أن أقرب قربانا " فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت ؟ قال إن الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) يا أبت أشدد وثاقي كي لا أضطرب وأجمع ثيابك حتى لا يصل إليها رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع إمرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي وإذ لقيت أمي فاقراً السلام عليها فأقبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقة انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقة كصحيفة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيئاً فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودي أن يا إبراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح

فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم
أن جعل الذبيح نبيا بصبره وامتناله لأمره
وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فإنه لما
ابتلي بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد
حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما
ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب
وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وإدخاله
السجن وحبسه فيه بضع سنين وأنه تلقى
ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما
صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة
بالمك في الدنيا مع ملك النبوة في
الآخرة

وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فإنه ابتلاه
الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض
المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره
إلى ما تضعف القوى البشرية من حمله
ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا
من ملوك بني إسرائيل كان يظلم الناس
فنهاه جماعة من الأنبياء عن الظلم
وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام
فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له
في مملكته فأوحى الله تعالى إلى أيوب
عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن
الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال

إبليس لعنه الله يارب سلطني على أولاده
وماله فسلطه فبث إبليس مردته من
الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه
ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها في
البحر وبعث بعضهم إلى زرعه وجناته
فأحرقوها وبعث بعضهم إلى منازلهم وفيها
أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله
فززلوها فهلكوا ثم جاء إبليس إلى أيوب
عليه الصلاة والسلام وهو يصلي فتمثل له
في صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب
أنت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليها
ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر
وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على
أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة
؟ فالتفت إليه وقال الحمد لله الذي
أعطاني ذلك كله ثم قبله مني ثم قام إلى
صلاته فرجع إبليس

المستطرف [جزء 2 - صفحة 149]

ثانيا فقال يارب سلطني على جسده
فسلطه فنفخ في إبهام رجله فانفخ ولا
زال يسقط لحمه من شدة البلاء إلى أن
بقي أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر

محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى وكان
الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه
خارجا عن البيوت من تن ريحه وكنت
زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد
سلمت فترددت إليه متفقدة فجاءها
إبليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة
وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة على
إسمي فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها إن
شفاني الله تعالى لأجلدك مائة جلدة
تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها
عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به
فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد
من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى
وقال (وأيوب إذ نادى ربه إني مسني
الضر وأنت أرحم الراحمين) فلما علم الله
تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه
المدة وهي على ما قيل ثمان عشرة سنة
وقيل غير ذلك وإنه تلقى جميع ذلك
بالقبول وما شكأ إلى مخلوق ما نزل به
عاد الله تعالى بالطفاه عليه فقال تعالى (
فكشفنا ما به من ضر وأتيناه أهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا) وأفاض عليه من
نعمه ما أنساه بلوى نقمه ومنحه من
أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه تحلة
قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى

(وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأمنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وإن قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق

المستطرف [جزء 2 - صفحة 150]

يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبورا وأجرا والشقي من ساق القدر إليه جزعا ووزرا
ومما شنف السمع من نجح هذه الإشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ما روي عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال كنت بواسطة فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا ؟ فقال أكنتم على أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين

فكنت في أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح
مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما
كان بالأمس أخرجت جماعة كانوا معي
فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان
السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن
شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على
لساني فقلت إلهي اشتد الضر وفقد
الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل
أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان
والنائم إذا أتاني أت فقال لي قم فصل
ركعتين وقل يا من لا يشغله شيء عن
شيء يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ وأنت
عالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس
الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك
محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يا
مغيث أغثنني وفك أسري واكشف ضري
فقد نفذ صبري فقممت وتوضأت في الحال
وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم
تختلف علي منه كلمة واحدة فما تم القول
حتى سقط القيد من رجلي ونظرت إلى
أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقممت
فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله
طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا
وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم
ودعني وانصرف يقصد الحجاز

وفيما يروى عن الله تعالى أنه أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل إلينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها إذا رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

المستطرف [جزء 2 - صفحة 151]

يا من ألح عليه الهم والفكر ... وغيرت)
(حاله الأيام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل ... عند)
(الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب إذا أحداثها طرقت ... فاصبر)
(فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة ... وكل فوت)
(ولما حبس أبو أيوب) وشيك بعده الظفر
في السجن خمس عشرة سنة ضاقت
حيلته وقل صبره فكتب إلى بعض إخوانه
يشكو إليه طول حبسه وقله صبره فرد
عليه جواب رقعه يقول
صبرا أبا يوب صبر مبرح ... وإذا عجزت)
(عن الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد)

(المكاره فيك يملك حلها
صبرا فإن الصبر يعقب راحة ... ولعلها أن)
فأجابه أبو أيوب يقول (تنجلي ولعلها
صبرتي ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي)
(بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرما به)
فما لبث بعد ذلك أياما (إذ كان يملك حلها
حتى أطلق مكرما وأنشدوا
إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي
يكشف البلوي هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن)
(فإن الصانع الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... فما)
(ترى حيلة فيما قضى الله
الفصل الثالث من هذا الباب في التأسى
في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر
قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه
عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة
وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات
للذنوب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 152]

حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها

فقال كأنك دعوت عليه بالموت فإن
صاحب الدنيا لا بد أن يرى مكروها وتقول
العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن
عينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من
سرور فهو ربح وقال العتبي إذا تناهى
الغم إنقطع الدمع بدليل أنك لا ترى
مضروبا بالسياط ولا مقدا لضرب العنق
يبكي

وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول
اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه
إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي
ذلك فإن كان فرح دعوني وإن كان حزن
دعوك وقال وهب بن منبه إذا سلك بك
طريق البلاء سلك بك طريق الأنبياء وقال
مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته
إلا ذكرت ذنوبي فاستصغرتة وعن جابر بن
عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه " يود
أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت
تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله
تعالى لأهل البلاء " وروى أبو عتبة عن
النبي قال " إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا
أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه ؟
قال لا يترك له مالا ولا ولدا " ومروى
عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه
مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه

وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف
متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى
فأوحى الله تعالى إليه أنه سألتني درجة لم
يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك
الدرجة

وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي
حكى أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطئ
عظما فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل
مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع
رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب
مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله
تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله
فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال
لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في
أعضاء فبينما هو كذلك إذ أتاه خبر ولده أنه
أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط
بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال
لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة
وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم
شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 153]

ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة

مسافرين ومعى مالي و عيالي ولا أعلم
عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في
بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي
من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير
فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض
ومضيت لأخذ البعير فسمعت صيحة
الصغير فرجعت إليه فإذا رأس الذئب في
بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير
فحكمت وجهي برجليه فذهبت عيناى
فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل
فقال الوليد إذهبوا إلى عروة ليعلم أن
في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل
الحوادث الممضنة مكسبة لحظوظ جليلة
أما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه
من غفلة أو تعريف لقدر النعمة
قال البحترى يسلي محمد بن يوسف على
حبسه

وما هذه الأيام إلا منازل ... فمن منزل)
(رحب إلى منزل ضنك)
وقد دهمتكَ الحادثات وإنما ... صفا)
(الذهب إلا بريز قبلك بالسبك)
أما في نبي الله يوسف أسوة ... لمثلك)
(محبوس عن الظلم والإفك)
أقام جميل الصبر في السجن برهة ...)
وقال (قال به الصبر الجميل إلى الملك

علي بن الجهم لما حبسه المتوكل
قالوا حبست فقلت ليس بضائري ...)
(حبسي وأي مهند لا يغمد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن)
(ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى)
(إن لم تثرها الأزند
والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء نعم)
(المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا
يزور ويحمد)
(لو لم يكن في الحبس إلا أنه ... لا تستذلك
بالحجاب الأعبد)
(غر الليالي باديات عود ... والمال عارية)
(يعار وينفد
ولكل حي معقب ولربما ... أجلى لك)
(المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة ... خطب رماك)
(به الزمان الأنكد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 154]

كم من عليل ق تخطاه الردى ... فنجا)
(ومات طبيبه والعود)

صبرا فان اليوم يعقبه غد ... ويد الخلافة)
قال وأنشد اسحاق (لا تطاولها يد
الموصلي في إبراهيم بن المهدي حين
حبس
هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر)
(فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الأصل ترفعه ... إلى)
فما أمسى (العلاء ويوما تخفض العالي
حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون
رضي الله عنه وقال إبراهيم بن عيسى
الكاتب في إبراهيم بن المدني حين عزل
ليهن أبا إسحاق أسباب نعمة ... مجددة)
(بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا ... لأنك)
وقال آخر (يوم العزل أعلى وأفضل
قد زاد ملك سليمان فعاوده ... والشمس)
وقال أبو بكر (تنحط في المجرى وترتفع
الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلي
في الصغير وهو المال وعافى في الكبير
وهو الحال
ولا عار إن زالت عن الحر نعمه ... ولكن)
وقيل المال حظ (عارا أن يزول التجمل
ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل
بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت
على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء

والقدر لا بد من جريانهما الثاني أني قلت
أن لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد
كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع
أني قلت لعل الفرج قريب والله أعلم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 155]

الباب السابع والخمسون ما جاء في اليسر
بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرج
والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب
فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز
وجل قوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر
يسرا) وقوله تعالى (وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو
الولي الحميد) وقوله تعالى (حتى إذا
استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء) وروى عن
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي قال
لو كان العسر في حجر لدخل عليه اليسر
حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام "
عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق
البلاء يكون الرخاء " وقال علي رضي الله

عنه عن النبي " أفضل عبادة أمتي
انتظارها فرج الله تعالى " وقال الحسن
لما نزل قوله تعالى (فإن مع العسر يسرا
إن مع العسر يسرا) قال النبي " أبشروا
فلن يغلب عسر يسرين " ومن كلام
الحكماء إن تيقنت لم يبق هم وقال أبو
حاتم

إذا اشتملت على البؤس القلوب ...)
(وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست)
(في مكانه الخطوب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 156]

ولم نر لانكشاف الضر وجهها ... ولا أغنى)
(بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به)
(وقال آخر) اللطيف المستجيب
عسى الهم الذي أمسيت فيه ... يكون)
(وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان ... ويأتي أهله)
(وقال آخر) النائي الغريب
تصبر أيها العبد اللبيب ... لعلك بعد صبرك)
(ما تخيب

وكل الحادثات إذا تناهت ... يكون وراءها)
وقال إبراهيم بن العباس (فرج قريب
ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند)
(الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت)
وقال آخر (وكان يظنها لا تفرج
لئن صدع البين المشتت شملنا ... فلبين)
(حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ...)
(وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحر وانقضت ... فإن)
(بها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... فان)
(زوال الشر عنك سريع
ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد
الشدة روي أن الوليد بن عبد الملك كتب
إلى صالح بن عبد الله عامله على المدينة
المنورة أن اخرج الحسن بن الحسن بن
علي من السجن وكان محبوبا واضربه
في مسجد رسول الله خمسمائة سوط
فأخرجه إلى

المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ
عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما
هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين
عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى
جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع
الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك
قال ما هو يا ابن العم ؟ فقال لا إله إلا
الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم
سبحان رب السموات ورب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين ثم أنصرف عنه
وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح
من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في
سجنه مظلوما أخرجوه وأنا أراجع أمير
المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه
الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما
حبس المهدي موسى ابن جعفر رأى في
المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو
يقول يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم
قال الربيع فأرسل المهدي الى ليلا
فراغني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية
وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم
قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به
فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا
الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا

فعاهدني أن لا تخرج علي ولا علي أحد من
ولدي فقال والله ما ذاك من شأنني فقال
صدقت ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف
دينار وردة إلى أهله بالمدينة قال الربيع
فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا على
الطريق وقال إسماعيل بن بشار
وكل حر وإن طالت بليته ... يوما تفرج)
وقال مسلم بن الوليد (غماه وتنكشف
كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي
فمر بي انسان أعرفه فقممت إليه وسلمت
عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس
معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف
فارسلتها مع جاريتي لبعض معارفها
فباعهما بتسعة دراهم واشترت بها ما
قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل
وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب
وإذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ؟
ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم
بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط
على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من
الأمير

يزيد بن مزيد فإذا فيه قد بعثنا لك بعشرة
آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف
درهم تتجمل بها لقدومك علينا فأدخلته
الى دراي وزدت في الطعام واشتريت
فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيبي
شيئا يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى
باب يزيد بالرقعة فوجدناه في الحمام فلما
خرج إستؤذن لي عليه فدخلت فإذا هو
جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به
لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما
الذي أقعدك عنا ؟ قلت قلة ذات اليد
وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم
أحضرتك ؟ قلت لا أدري قال كنت عند
الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد
من القائل فيك هذه الأبيات

سل الخليفة سيفاً من بني مضر ...)

(يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهيم به ... قد أوسع)
فقلت والله لا أدري (الناس إنعاما وإرغاما
يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال
فيك مثل هذا ولا تدري من قاله ؟ فسألت
ف قيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت
اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه
واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الأرض
وسلمت فرد على السلام فأنشدته ما لي

فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم
وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم و
قال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين
في العطاء فانظر الى هذا التيسير
الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما
قيل

الامن والخوف أيام مداولة ... بين الانام)
ولما وجه سليمان بن (وبعد الضيق تتسع
عبد المملك محمد بن يزيد الى العراق
ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق
على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد ابن
عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم
أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها
فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن
أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه
في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد
يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال
لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد
قال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 159]

قال طالما سألت الله أن يمكثني منك
فقال وأنا والله طالما سألت الله أن

بجيرني منك فقال والله ما أشارك ولا
أعادك وان سبقني ملك الموت الى قبض
روحك سبقته والله لا أكل هذه الحبة
العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع
في النطع وقام السيف فأقيمت الصلاة
فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي
وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله
فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على
رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب
حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك
الأسير قال اسحق بن إبراهيم الموصلي
رأيت رسول الله في النوم وهو يقول
أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت
بالشموع ونظرت في أوراق السجن وإذا
ورقة إنسان ادعى عليه بالقتل وأقربه
فأمرت بإحضاره فلما رأته وقد ارتاع
فقلت له أن صدقتني أطلقتك فحدثني انه
كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل
عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة
صارت عندهم صاحبة الله الله وغشي
عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في
أمري فان هذه العجوزة غرتني وقالت ان
في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة
جدي رسول الله وأمي فاطمة وأبي
الحسين بن علي فاحفظوهم في فقامت

دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من
الجماعة وقال لا بدمنها وقاتلني فقتلته
وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله
كما سترتني وسمع الجيران الصيحة
فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا
والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي إليك
وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله
ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما
لا أعود إلى معصية أبدا وأمر الحجاج
بإحضار رجل من السجن فلما حضر أمر
بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرجني إلى
غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ؟
ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج
في السجن يقول
عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم)
(في خليقته أمر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 160]

فقال الحجاج والله ما أخذه إلا من كتاب
الله وهو قوله تعالى (كل يوم هو في
شأن) وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء
المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه
بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي

سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا
وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور
الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في
السجن ؟ قال سنة ونصف قال على ماذا ؟
قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق
علي الكسب ببلدي فأخذت جملي وتوجهت
الى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت
جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير
مستقيمي الحال وهو مقدار عشرة أنفس
وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد
منهم شيئا للأعوان فأطلقوه وأمسكوني
عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فأبوا
وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات
بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد
خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين ديناراً في
كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال
أتدرون ما سبب فعلي هذا ؟ قلنا لا قال
رأيت رسول الله وهو يقوم أطلق منصوراً
الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ
الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه
طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب
بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله
عليه كلبة ترضعه مع جرو لها فسبحان
القادر على كل شيء لا إله غيره ولا معبود
سواه قال الشاعر

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا ... فاضيق)
(وقال آخر) (الأمر أدناه إلى الفرج
فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة ... فإن)
(وقال آخر) (إعتكار الليل يؤذن بالفجر
لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا ... ولا كل)
(شغل فيه للمرء منفعه)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 161]

إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ...)
(عليك سواء فاعتنم لذة الدع
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا)
وقال الرياشي (رب ضيق في عواقبه سعه
ما اعتراني هم فأنشدت قول أبي العتاهية
حيث قال
(هي الأيام والغير ... وأمر الله ينتظر)
(أتياأس أن ترى فرجا ... فأين الله والقدر)
(... إلا سرى عني وهبت ريح الفرج)
ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة
ومنع النوم فأرسل إلى قاعد البحر وقال
له انفذ الآن مركبا إلى أفريقية يأتوني
بأخبارها فعمد القائد إلى مقدم مركب
وأرسله فلما أصبحوا إذا بالمركب في
موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد

البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به ؟ قال
نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع
بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر
بإحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك
ما منعك أن تذهب حيث أمرت ؟ قال ذهبت
بالمركب فبينما أنا في جوف الليل
والرجال يحدفون إذا بصوت يقول يا الله يا
الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا
فلما استقر صوته في أسماعنا نادينا
مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا
غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نوح
الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر
رمق من الحياة فطلعنا به المركب
وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من
أفريقية فغرقنا سفينتنا منذ أيام
وأشرفت على الموت وما زلت أصبح حتى
أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من
أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في
البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات
الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
الوحدة فسبحانه لا إله غيره ولا معبود
سواه
وحكي سيدي أبو بكر الطرطوشي في
كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد
الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على

الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين
ببغداد جزءاً من الحديث في حانوت رجل
عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت إذ
جاء رجل من الطوافين ممن

المستطرف [جزء 2 - صفحة 162]

يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفق
إليه عشرة دراهم وقال له اعطني بها
أشياء سماها له من العطر فأعطاه أياها
فأخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط
الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى
الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو
حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على
بعض هذه الأشياء فقال سمعاً وطاعة
فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها
ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على
الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر
الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها
الشيخ ليس جزعي لضياح ما ضاع لقد علم
الله تعالى أنني كنت في القافلة الفلانية
فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار
ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت
لضياحها حيث كان لي غيرها من المال

ولكن ولد لي ولد في هذه الليلة فاحتجنا
لامة ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير
هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها
حاجة النفساء فأبقي بلا رأس مال وأنا قد
صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب
فقلت في نفسي أشتري بها شيئا من
العطر فأطوف به صدر النهار فعسى
أستفضل شيئا أسد به رمق أهلي ويبقى
رأس المال أتكسب به واشترت هذا
العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم
يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي أوجب
جزعي

قال أبو حفص وكان رجل الجند جالسا إلى
جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي
حفص يا سيدي أريد أن تأتي بهذا الرجل
إلى منزلي فظننا أن يعطيه شيئا قال
فدخلنا إلى منزله فأقبل على الطواف
وقال له عجبت من جزعك فأعاد عليه
القصة فقال له الجندي وكنت في تلك
القافلة؟ قال نعم وكان فيها فلان وفلان
فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة
الهميان وفي أي موضع سقط منك؟
فوصف له المكان والعلامة قال الجندي إذا
رأيت تعرفه قال نعم فأخرج الجندي له
هميانا ووضع بين يديه فحين رآه صاح

وقال هذا همياني والله وعلامة صحة
قولي أن فيه من الفصوص ما هو كيت
وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال
الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال
الطواف إن هذه الفصوص قيمتها مثل
الدنانير وأكثر فخذها وأنت في حل منها
ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 163]

لأخذ على أمانتي مالا وبني أن يأخذ شيئا ثم
دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى
ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج
وهو من الأغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر
أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين
وحكي أن الملك ناصر الدولة من آل
حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيأ
الأطباء دواؤه لم يجدوا له شفاء فدرسوا
على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر
فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب
عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت
الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعى
الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط
فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان

وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشي
قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني
بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة
من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك
فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار
واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان
في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على
الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا
تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه
البقعة فأبوا إلا دخولها فاعتزلهم ذلك
الرجل ويات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك
المكان فأصبحوا في عافية وحملوا على
دوابهم فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك
الرجل إلى الدار ليقضي حاجته فخر عليه
الحائط فمات لوقته

قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش
بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار
وأشار إلى دار هناك قضية عجيبة قلت وما
هي ؟ قال كان يسكن هذه الدار رجل من
التجار ممن يسافر إلى الكوفة في تجارة
الخر فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز
في خرج وحمله على حماره وسار مع
القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال
الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا
هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل

فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله
عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه
خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد
فقال له الرجل كن رفيقي أنس بك
وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك
علي فقال له الرجل وأنا أيضا أختار
صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه
في سفره وخدمه أحسن خدمة إلى أن
وصلا إلى تكريت فنزل الرفقة خارج
المدينة ودخل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 164]

الناس إلى قضاء حوائجهم فقال التاجر
لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل
المدينة وأشتري ما نحتاج إليه ثم دخل
المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم
يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم
ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل
ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد في
السير في المشي إلى أن أدرك القافلة
بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن
صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه
ارتحل على أثرك فظننا أنك أمرته فكر

الرجل راجعا إلى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الأعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق إذا رآه على تلك الحالة فاستخفى إلى الليل ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقبل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة إليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية واطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج إلى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجة وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما

نحتاج إليه من دقيق وعسل ودهن فنزل
البياع إلى حانوته وأوقد المصباح ووقف
يزن له ما طلب فبينما هو كذلك إذ حانت
من التاجر التفاتة إلى قعر الحانوت فرأى
خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك
نفسه أن وثب إليه والتزمه وقال يا عدو
الله ائتني بمالي فقال له البياع ما هذا يا
فلان ؟ والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما
جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام
قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني
وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع
والله ما لي علم غير أن رجلا ورد علي بعد
العشاء واشترى مني عشاءه وأعطاني هذا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 165]

الخرج فجعلته في حانوتي وديعة إلى حين
يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في
المسجد نائم قال له أحمل معي الخرج
وامض بنا إلى الرجل فرفع الخرج على
عاتقه ومضى معه إلى المسجد فإذا الرجل
نائم في المسجد فوكزه برجله فقام
الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي يا
خائن ؟ قال ها هو في خرجك فوالله ما

أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال
هو عند هذا الرجل الذي معك فعفا عنه
وخلى سبيله ومضى بخرجه إلى داره
فوجد متاعه سالما فوسع على أهله
وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم
وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا
يخبى من قصده ولا ينسى من ذكره
ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في
(التهنئة والبشائر)

كتب بعضهم إلى أخيه وقد أتاه خبرا
استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب
في الألواح وامتزج بالأرواح وعد في جملة
البشائر العظام وجرى في العروق
وتمشي في العظام وكان خالد بن عبد
الله القسري أخا هشام بن عبد الملك من
الرضاع وكان يقول له اني لأرى فيك آثار
الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان
أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام
بين الصفيين وقال يا أمير المؤمنين أعزل
الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما
ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك
على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك
نقمة لقد كانت الولاية إليك أشوق منك
إليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها
ومثلك إلا كما قال الأحوص هذه الأبيات

وإن الدر زاد حسن وجوه ... كان للدر
(حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا ... إن تمسسه)
ودخل على المهدي اعرابي (أين مثلك أيننا
فقال له فيم جئت ؟ قال أتيتك برسالة
قال هاتها قال أتاني آت في منامي فقال
أنت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات
لكم ارث الخلافة من قريش ... ترف)
(إليكمو أبدا عروسا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 166]

إلى هرون تهدي بعد موسي ... تميس وما
فقال المهدي يا غلام (لها أن لا تميسا
علي بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق
ثم قال اكتبوا هذه الأبيات واجعلوها في
بخانق صبياننا
قال إبراهيم الموصلي في تهنة الرشيد
بالخلافة
ألم تر أن الشمس كانت مريضة ... فلما
(أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه ... فهرون)
وغناه بهما من وراء (واليها ويحيى وزيرها
الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى

بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبي صيفي
على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين
التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله
وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه
فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق
بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية
واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر
ابن هبيرة بعد إطلاقه من السجن بالرقعة
فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها
تحدث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي
أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه
ما كان كذا فرمى إليها بصرة فيها مائة
دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة
فطيبني نفسا وقرى عينا والله سبحانه
وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 167]

الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد
والاماء والخدم وفيه فصلان
الفصل الأول في مدح العبيد والاماء
والاستيحاء بهم خيرا
عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال

رسول الله " أول من يدخل الجنة شهيد
وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن
ابن عمر رضي الله عنه تعالى عنهما ()
رفعه) إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن
عبادة ربه فله أجره مرتين " وكان زيد بن
حارثة خادما لخديجة رضي الله تعالى عنها
اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول
الله فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال
رسول الله إن رضي بذلك فعلت فسئل
زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله
أحب إلى من عز الحرية مع مفارقتة فقال
رسول الله إذا اختارانا اخترناه فأعتقه
وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش
ون علي رضي الله تعالى عنه قال كان
آخر كلام رسول الله " أوصيكم بالصلاة
واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم " وعن أبي
هريرة رضي الله تعالى عنه لا يقولن
أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل
نسائكم أماء الله ولكن ليقل غلامي
وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود
الأنصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت
من خلفي صوتا " اعلم يا أبا مسعود إن
الله أقدر عليك منك عليه " فالتفت فإذا
هو النبي فقلت يا رسول الله هو حر لوجه
الله تعالى فقال أما إنك لو لم تفعل

للفحتك النار
وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قال جاء رجل إلى

المستطرف [جزء 2 - صفحة 168]

رسول الله فقال يا رسول الله كم تعفو
عن الخادم ؟ ثم أعاد عليه فصمت فلما
كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم
سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال حدثني أبو القاسم نبي
التوبة " من قذف مملوكه وهو برئ مما
قال جلد له يوم القيامة حدا " وقيل أراد
رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك ؟
فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما
أخرجتك من يدي فأعتقها وتزوجها وقال
أبو اليقظان إن قريشا لم تكن ترغب في
أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أمل
زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن
محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر
رضي الله تعالى عنه أتى بنات يزدجرد بن
شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن
فأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق
فكشف عن وجه إحداهن فلطمته لطمه

شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا
إليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرّة
فقال علي رضي الله تعالى عنه يا أمير
المؤمنين إن رسول الله قال " أكرموا
عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر " إن بنات
الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن
وأعطاهن أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن
علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله ابن عمر
فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد
الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة
فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى
نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم ... هجينا)
(لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه ... ويخدر)
(ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا)
فقال له (ابن أخرى ظهرها متشرك
مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين
ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر
هذه الأبيات
فما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن)
(خطبناهم بأرماحنا فسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة ... ولا كلفت)
(خبزا ولا طبخت قدرا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 169]

وكم قد ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقي
(الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ ريان الطعان بكفه ... فيوردها)
فقبل رأسه وعينيه (بيضا ويصدرها حمرا
وقال أحسنت يا بني ذاك والله أنت وأمر
له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق
والله أعلم

الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم
روي عن رسول الله أنه قال " بئس المال
في آخر الزمان المماليك " وقال مجاهد
إذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال
لقمان لابنه لا تأمن امرأة على سر ولا
تطأ خادما تريد لها للخدمة ووصف بعضهم
عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها
ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم
ألك غلام ؟ فقال

ومالي غلام فادعوا به ... سوى من أبوه)
وقال أكثم (أخو عمتي
الحر حر وإن مسه الضر ... والعبد عبد)
ودعا بعض أهل الكوفة (وإن ألبسته الدر
إخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم
من الخدمة فقال

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... رأى)
(خلا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر)
وكان لرجل غلام من (الله بئس القعائد
أكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا
وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء
بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك إذا
استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين
فمرض الرجل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 170]

فأمر الغلام أن ييه بطبيب فغاب ثم جاء
بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال
أما ضربتني وأمرتني أن أفضي حاجتين
في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله
تعالى وإلا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب
وهذا حفار وقيل كان عمرو الأعجمي يلي
حكم السند فكتب إلى موسى الهادي إن
رجلا من أشرف أهل الهند من آل المهلب
ابن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه
وتبناه فلما كبر وشب أشد به هوى مولاته
فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه
يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا

هو على صدر مولاته فعمد إليه فجب ذكره
وتركه يتشخط في دمه ثم أدركته عليه
رقة وندم على ذلك فعالجه إلى أن برئ
من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن
يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون
فيه شفاء غليله وكان لمولاه إبنان أحدهما
طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر
فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور
فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على
ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل
يعللها بالمطعم مرة وباللعب أخرى إلى
أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى في
شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني
للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد
بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما
جبتني لأرمين بهما فقال الله الله يا
ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك
فوالله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها
في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له
وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد
الصعود إليه فيدليهما من ذلك الشاهق
فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية
وأفعل ما أمرت ثم أسرع وأخذ مدية فجب
نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى
الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال

إن جيك لنفسك ثأري وقتل أولادك زيادة
فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى
الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمرو
الأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت
بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته
كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل
خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو
أحسنتم إلى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل
يدك إليه أنكره كأن لم ير منك شيئا وكلما
أحسنتم إليه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 171]

تمرد وإن أسأت إليه خضع وذل وقد جربت
أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت
وقيل إن العبد إذا (أكرمت اللئيم تمردا
شبع فسق وإن جاع سرق وكان جدي لأمي
يقول شر المال تربية العبيد والمولدون
منهم الأم من الزنوج وأردأ لأن المولد لا
يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه
ويقال في المولد بغل لأنه مجنس والبغل
تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا
تثق بمولد لأنه قل أن يكون فيه خير وإن

كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا
أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم
الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 172]

الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب
الجاهلية و أوابدهم وذكر غرائب من
عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم
للهرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا
وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب
الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى (وما جعل
وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) قال
أهل اللغة البحيرة ناقة كانت إذا نتجت
خمسة أبطن وكان الأخير ذكرا بحروا أذنها
أي شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا
تمنع من ماء ولا مرعى وكان الرجل إذا
اعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما
ولا ميراث وأما الوصيلة ففي الغنم كانت
الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى

قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم
فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها
فلا يذبح لآلهتهم وأما الحام فالذكر من
الابل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل
عشرة أبطن قالوا حمي ظهره فلا يحمل
عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى وقال
تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب
والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فالخمر ما خامر
العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر
القمار والأنصاب حجارة كانت لهم
يعبدونها وهي الأوثان واحداها نصب
والأزلام سهام كانت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 173]

لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى
بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا
أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا
خرج الأمر مضى لحاجته واذا خرج النهي
لم يمض ومن أوابدهم وأد البنات أي
دفنهن أحياء كانوا في الجاهلية اذا رزق
أحدهم أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق
صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى (واذا

بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو
كظلم) وقال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم
خشية إِملاق نحن نرزقهم وإياكم) وقد
قيل إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار
وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش
تُد فيه البنات وقيل إن صعصة جد
الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من
القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل
وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني
أمية فقال أنا ابن محي الموني فأنكر
الرجل ذلك فقال إن الله تعالى يقول (
ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا)
وأما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه
قريش في كل موسم من أموالهم الي
قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من
لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا
فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم
به يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل
بيته وأهل الحرم وإن الحجاج ضيوف الله
وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة
فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى
يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك
كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم
وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب
وهو الذي حفر بئر زمزم و كانت مطمومة

واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين
عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى
وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ
فضرب من الأسياف باب الكعبة وجعل أحد
الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل
الآخر في الكعبة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 174]

واعلم وفقني الله وإياك إنه لم يسمع
بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة
وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك
الاسدي الذين ضرب بهم المثل فأما سعيد
بن زرارة ف قيل إنه مرت به امرأة فقالت
له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا
فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله
؟ وأما عبد الله بن زياد التميمي ف قيل إنه
خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز
فنودي ممن نواحي المسجد كثر الله فينا
مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما
ابن سماك فإنه أضل راحلته فالتمسها
فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي
على لا صليت له أبدا فوجدت وقد تعلق
زمامها ببعض أغصان الشجر ف قيل له قد

رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما
كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله
الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى
بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا
ومثلا بين العالمين مستشعنا نعوذ بالله
من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم حكي عن
الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل كيف
وجدت منزلك بالعراق ؟ قال خير منزل ان
الله أظفرني بأناس بلغني الأمل فيهم
وأعانتني على الانتقام منهم فكنت أتقرب
اليه بدمائهم فقبل له من هم ؟ فذكر
هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها
من محاسن الحجاج وأن قلت في جنب
سيئاته والله تعالى أعلم
ذكر أديان العرب في الجاهلية كانت
النصرانية في ربيعة وغسان وبعض
قضاة وكانت اليهودية في نمير وبني
كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت
المجوسية في بني تميم منهم زرارة ابن
عدي وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم
ومنهام الأقرع بن حابس كان مجوسيا
وكانت الزندقة في قريش أخذوها من
الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في
الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا

طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل
إن أول من غير

المستطرف [جزء 2 - صفحة 175]

الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو أنه
رحل الى الشام فرأى العمالق يعبدون
الأصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الأصنام
التي أراكم تعبدونها ؟ قالوا هذه أصنام
فتمطرنا فتمطرن ونستنصرها فتنصرنا
فقال أعطوني منها صنما أسير به إلى
أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال
له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس
بعبادته وتعظيمه وقيل إن أول ما كانت
عبادة الأحجار في بني إسماعيل وسبب
ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم
حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما
من أحد إلا حمل معه حجرا من حجارة
الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه
وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك
بهم إلى أن عبدوا ما استحسوه من
الحجاره ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا
عليه من دين إسماعيل فعبدوا الأوثان
وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من

الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في حوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا أسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان أساف ونائلة رجلا وامرأة فوق أساف على نائلة في الكعبة فيمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع إذا توجه إلى سفره وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبه وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني مغيث من ثقيف وكانت مناة للأوس والخزرج من دان بدينهم وأما يغوث ويعوق ونسر فقبل إنهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه إذا أنظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوره من صفر وورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصورهم هناك وأقام من

بعدهم على ذلك الى ان تركوا الدين
وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله
فقالوا له من نعبد ؟ قال ألّهتكم المصورة
في

المستطرف [جزء 2 - صفحة 176]

مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا
عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها
فقالوا كما أخبر الله عنهم (لا تذر
ألّهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) الآية ولما
عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها
التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان
لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحد
في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين
كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام
فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن
يصوروا صورهم ليكون أنشط وأشوق
للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم
قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها
وأن من سبقهم من قومهم عبدها
فسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود
على صورة رجل وسواع على صورة امرأة
ويغوث صورة أسد ويعوق على صورة

فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى
اعلم أي ذلك كان
ذكر أوأبدهم الرتم شجر معروف كانت
العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى
شجرة منه فيقعد غصنا منها فاذا عاد من
سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني
امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني
الرئمية ناقة كانت العرب اذا مات واحد
منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها
حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره
ركبها التعمية والتفقتة كان الرجل اذا
بلغت إبله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان
ذلك يدفع عنها العين فاذا ازدادت على
الألف فقا عينه الأخرى العرداء يصيب
الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة
ويزعمون ان ذلك بيرئ داء من العر ضرب
الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن
الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن
يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب
الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل
ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر
يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح
على قبره اسفوني الى ان يؤخذ بثأره

المستطرف [جزء 2 - صفحة 177]

وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة فإذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورات في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم
سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في)
ثم جاء الاسلام والعرب (صدى المقابر هام ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي (لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام) وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت والصفر

زعموا ان الإنسان إذا جاع عض على
شرسوفه الصفرة وهي حية تكون في
البطن تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت
في أول ضربة فإذا تثبت عاشت
الغيلان والتغول للعرب في الغيلان
والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول
يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور
فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من
الناس أن الغول حيوان مشؤوم وأنه خرج
منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار
وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى
لبعض السفار في اوقات الخلوات وفي
الليل وحكي أن سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه رآه في سفره الى
الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ
الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون
في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف
وقالوا إنه ذكر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 178]

وأنشى الا أن أكثر كلامهم أنه أنشى وأما
القطرب في قولهم فهو نوع من
الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم

فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في
أعاليه وربما أنه يلحق الانسان فينكحه
فيدود دبره فيموت وربما نذا على الانسان
وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي
ذكرناها أمنكوح هو أو مدعور ؟ فان كان
قد نكحه أيسوا منه وإن كان قد دعر سكن
روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع
مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكثر
به لشهامته وثبات قلبه
ذكر الهواتف أما الهواتف فقد كانت كثر
في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا
رسول الله وان من حكم الهواتف ان
تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي
ومن عجيب ما حكى من امر الهواتف ما
حكاه ابو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا
فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه
ليت شعري هل بغت علي فلما انصرفنا
من مكة قالها في بعض الطريق فأجابته
صوت في الظلام نعم نعم وناكها حنيه
وهو رجل احمر ضخم في قفاه كيه فسكت
الرجل فلما سرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك
الرجل قال دخل جيرانى يسلمون علي
فإذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كيه
فقلت لأهلي من هذا ؟ قالت رجل كان
الطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألته

عن اسمه فقالت حجية فقلت الحقي
بأهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا
يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فاذا أخذ
بثأره بكينه وأما رمي السن فكانوا
يزعمون أن الغلام اذا ثغر فرمى سنه في
عين المس بسبابته وإبهامه وقال أبليني
بأحسن منها فإنه يأمن من على أسنانه
العوج والفالج

المستطرف [جزء 2 - صفحة 179]

وما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل
على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره
بدم الصيد علامة وأما نصب الراية فكانت
العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها
لتعرف بها وأما جز النواصي فكانوا اذا
أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا
ناصيته

وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج
في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان
التفت تطيروا له وكانوا يقولون من علق
عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر
وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها
تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون

أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وبأؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الأبقار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فإنها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقنت من سنتهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الأكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فإن لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض أخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الستون في الكهانة والقيافة
والزجر والعرافة والغال والفراسة والنوم
والرؤية وما أشبه ذلك
اما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية
حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن
وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها
وللكهنة أخبار فمنهم سطيح ورد عليه عبد
المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما
يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبدان
رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجله وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم
كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى
ان لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته
فلبس ناهجه وقعد على سريره وجمع
وزرائه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر
فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود
النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما
على غمهم فكتب كسرى كتابا الى
النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى رجلا
عالمما بما أريد ان أسأله عنه فوجه اليه عبد
المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك
علم بما أريد ان أسألك عنه ؟ قال ليخبرني
الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته
بمن يعلمه به فأخبره بما رآه الموبدان
فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف

الشام يقال له سطيح قال فآته فاسأله
عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد
المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد
اشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم
يخبر عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 181]

أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من
قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع
رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسبح
الى سطيح بعثك ملك بني ساسان
لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا
الموبدان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا
قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد
المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي
سماوة وغازت بحيرة ساوة وخدمت نار
فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا
العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع امر
العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد
اقترب يملك منهم ملوكا وملكات بعدد
الشرافات وكل ما هو ات ات ثم قضى
سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته
وعاد فأخبر كسرى بذلك

وحكي أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى
مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل
مملكته ما يفسره لك الأشق وسطيح
فأحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناма
هالني فان عرفته فقد أصبحت تفسيره
فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة
فوقعت بأرض نهمة فأكل منها كل ذات
جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيئا ما
تفسره قال ليهبطن بأرضك الحبش
وتملك ما بين أبين إلى جرش فقال الملك
ان هذا لغائط موجه فمتى هو كائن أفي
زماني أم بعده ؟ قال بل بعده بحين أكثر
من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم
يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها
هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم ؟
قال أراه ذا بزن يخرج عليهم من عدن فما
يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم
ذلك أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع قال ومن
يقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من
العلی قال وممن يكون هذا النبي ؟ قال
من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر
يكون في قومه الملك إلى آخر الدهر قال
وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم يوم يجمع
فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه
المحسنون ويشقى المسيئون قال أو حق

ما تخير قال والشفق والقمر إذا اتسق ان
ما أنباتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما
قال سطيح ومن ذلك ما حكى أن أمية بن
عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى
المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على
خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة
فرضي أمية بذلك وجعل بينهم الخزاعي
الكاهن حكما فخبوا إليه شيئا وخرجا إليه
ومعهما جماعة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 182]

من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبيا فان
علمته تحاكمنا إليك وان لم تعلمه تحاكمنا
إلى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت
قالوا صدقت أحكم بين هاشم بن عبد
مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما
أشرف بيتا ونسبا فقال والقمر الباهر
والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو
طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق
هاشم أمية إلى المآثر ولأمية أواخر فأخذ
هاشم الابل ونحرها وأطعهما من حضر
وخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر
سنين ويقال إنها أول عداوة وقعت بين

بني هاشم وبني أمية
وحكي أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت
تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من
فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا
عن البيوت تغشاه الناس من غير إذن فخلا
البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم
نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كن يغشى
البيت فولجه فلما رأى هنداً رجع هاربا
فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها
برجله وقال لها من هذا الذي خرج من
عندك ؟ قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت
حتى أنبهتني قال فأردجعي إلى بيت أبيك
وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية إن
الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن
الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله
لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته
إلى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما
هو علي بصادق فقال له يا فاكه انك قد
رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى
بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جمعة
من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة
من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما
شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا
الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها
اني أرى حالك قد تغير وما هذا إلا لمكروه

عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم
تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن
يسمني بسىما تكون علي سبة فقال لها لا
تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى
أدلى ثم أدخل في أحليله حبة حنطة
وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل
فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 183]

له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك
خبئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في
كمدة قال اني أريد أن أبين من هذا قال
حبة بر في أحليل مهر قال فانظر في أمر
هؤلاء النسوة فجعل يأتي إلى كل واحدة
منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها
انهضي حتى بلغ هذا فقال انهضي غير
رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه
معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها
فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني
فوالله اني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك
فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير
المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه
وأما القيافة فهي على ضربين قيافة

البشر وقيافة الاثر فأما قيافة الشر
فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان
وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو
مدلج يعرض على أحدهم مولود في
عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم
وحكي عن بعض أبناء التجار أنه كان في
بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام
أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر إليه واحد
منهم وقال ما أشبه الركب بالقائد قال
ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء
فلما رجعت إلى أمي ذكرت لها القصة
فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا
مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ما له
فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك
ولولا أن هذا شيء ستعلمه غدا في الدار
الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا وأما قيافة
الأثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر
والخفاف وقد اختص به قوم من العرب
أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أو
دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى
يظفروا به ومن العجب أنهم يعرفون قدم
الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل
والبكر من الثيب والغريب من المستوطن
ويذكر أن في قطبة وثر البرلس أقواما
بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين

خرج النبي وأبو بكر إلى الغار على صخر
صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين
فيه الأقدام

المستطرف [جزء 2 - صفحة 184]

فحجبهم الله تعالى عن نبيه بما كان من
نسيج العنكبوت وما لحق القائف من
الحيرة وقوله إلى ههنا انتهت الأقدام هذا
ومعهم الجماعة من قريش أبصارهم
سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى
الانسان فيها يعني في علمها لما استأثر
بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل القيافة
لبنى مدلج في أحياء مضر واختلف رجلا
من القافة في أمر بعير وهما بين مكة
ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر
هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا
شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال
أحدهما لصاحبه أهو ذا ؟ قال نعم فوجداه
خنثى فأصابا جميعا ومنهم من كان يخط
الرمل في الأرض ويقول فيوافق قوله ما
يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت
إلى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط
لي في الأرض فخطت ثم قامت فضحك

خراش ثم قال أتدري قيامها لأي شيء ؟
قلت لا قال قد علمت أنك تجد اهلك
وتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت
ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله
بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي
غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في
الأرض فضحك منها مالك هزوا وقال ما
هذا ؟ فقالت أما والله لا تخرجي من
سجستان حتى تموت وينزوج عمرو هذا
زوجتك فكان كما ذكرت
وأما الزجر والعرافة فاحسنه ما روي إن
كسرى أبرويز بعث إلى النبي حين بعث
زاجرا ومصورا فقال للزاجر أنظر ما ترى
في طريقك وعنده وقال للمصور أئتني
بصورته فلما عاد إليه أعطاه المصور
صورته فوضعها كسرى على وسادته ثم
قال للزاجر ماذا رأيت ؟ قال ما رأيت ما
أزجر به إلا أنه سيعلوا أمره عليك لأنك
وضعت صورته على وسادتك
وبعث صاحب الروم إلى النبي رسولا
وقال له انظر إليه ومل إلى جانبه وأنظر
إلى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم
والشامة فقدم الرسول فرأى النبي على
نشر عال واضعا قدميه في الماء وعن
يمينه علي رضي الله عنه فلما رآه رسول

الله قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر

المستطرف [جزء 2 - صفحة 185]

فلما رجع إلى صاحبه أخبره الخبر فقال
ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي
فتفائل بالنشر العلو وبالماء الحياة وقال
المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية
عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج
هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم
عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن
مروان فقال للرسول ما اسمك ؟ قال
طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أني
أرجع إلى الفسطاط فمات ولم يرجع
وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية
فقال لفاخته بنت قرظة اذهبي فانظري
إليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت
مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا
ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها
فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلا
حبيب ابن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل
أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما
مروان بن محمد جالس في إيوانه يتفقد
الأمور إذ تصدعت زجاجة من الأيوان

فوقعت منها الشمس على منكب مروان
وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه
ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع
الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس
بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان
ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير
شهرين حتى مضى ملك مروان
وروى المدايني أن عليا رضي الله عنه
بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقعة
وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل
الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس إذ نظر
إلى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ
كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد
بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر إنكم
لتصرفون من وجهكم هذا لا تغلبون ولا
تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى
حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما
على الآخر

وحكي ان الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل
فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رآته
قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا
طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك
فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند
ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة
الأولى دخلت علي والشقة بيدي أدير

طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة
في يدي أريد قطعها لأنني

المستطرف [جزء 2 - صفحة 186]

قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان
النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي
فكان كذلك
وحكي أن سيف بن ذي يزن لما استنجد
كسرى على قتال الحبشة بعث إليه بجيش
عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو
مسروق بن أبرهة في مائة ألف من
الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء
بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور
وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر
ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه
ثم قال لأميره اصبر لتنظر ما يكون من
أمره فقال فتحول مسروق من الفيل إلى
جمل فقال أصبر فتحول بعد ذلك إلى
فرس ثم إلى بغل ثم إلى حمار وكأنه أنف
من مقاتلتهم على شيء من ذلك الا على
حمار لما أنه استصغروهم وأستحقروهم
وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من
أعلى إلى أدنى وقال أحملوا عليهم فإن

ملكهم قد ذهب فإنه انتقل من كبير إلى
صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل
الملك

وحكي أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد
يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله
رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال
نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شيء
عرفت ذلك ؟ فقال إنك لما سألتني التفت
يميناً وشمالاً فوجدت رجلاً على ظهره
قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه
فأولت الماء بالمحبوس وتفريق بالانطلاق
ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان
الأمر كذلك

وأما الفأل فقد روي أن النبي كان يحب
الفأل الصالح والاسم الحسن وروي أنه
لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له
يا بشار ويا سالم فقال لأبي بكر رضي الله
تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا
الدار وقال الأصمعي سألت ابن عون عن
الفأل فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا
سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما
أشبه ذلك

وأما الطيرة فقد كن يحب الفال ويكره
الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول
الله فقال من عرض له من هذه الطيرة
شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا
خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم وعنه أنه قال
ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو
تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما
(رفعه) من اقتبس علما من النجوم
اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة
رضي الله عنه من أتى كاهنا فصدقه فيما
يقول أو أتى امرأته حائضا في دبرها فقد
برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه
الآيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ... الا كواذب)
(ما يجري به الفال

والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون)
وقال لبيد (ودون الغيب افعال

لعمري ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا)
وقال آخر (زاجرت الطير ما الله صانع

تعلم أنه لا طير إلا ... على متطير وهو)
(الثبور

بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا)
وكانت العرب تتطير بأشياء (وباطله كثير

كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه
ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها
وكانوا إذا ارادوا سفر خرجوا من الغلس
والطير في أوكارها على الشجر
فيطيرونها فإن أخذت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 188]

أخذوا يمينا وإن أخذوا شمالا أخذوا شمالا
ومنه قوله امرئ القيس
وقد اغتدى والطير في وكناتها ... بمنجرد)
(قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر)
والعرب أعظم ما (حطه السيل من على
بتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من
أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه
يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور
على جهة التطير بصرا وفيه يقول بعضهم
إذا ما غراب البين صالح فقل به ... ترفق)
(رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر ... وأبشع)
(في الابصار من رؤية اللحد
تصيح بين ثم تعثر ماشيا ... وتبرز في)
(ثوب من الحزن مسود

متى صحت صبح البين وانقطع الرجا ...)
وأعرض (كأنك من يوم الفراق على وعد
بعضهم عن الغراب وتطير بالإبل وسبب
ذلك لكونها تحمل أثقال من ارتحل وفي
ذلك قال بعضهم مفردا أجاد
زعموا بأن مطيهم سبب النوى ...)
وقالوا من (والمؤذونات بفرقة الأحباب
تطير من شيء وقع فيه
وحكي عن ابراهيم بن المهدي قال أرسل
إلي محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي
الصيف مقمرة يقول يا عم إني مشتاق
إليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له
على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي
جعفر وجاريتته نعيم فقال لها غنينا شيئا
فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول
هذه الأبيات
همو قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما فعلت)
(يوما بكسرى مراربه
بني هاشم كيف التواصل بيننا ... وحبند)
(أخيه سيفه ونجائه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 189]

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك

ويحك انتبهي وغني ما يسرني فغنت
تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ... وأكثر)
فقال لها ويحك ما (حزما منك ضرج بالدم
هذا الغناء في هذه الليلة غني غيره فغنت
تقول هذه الأبيات

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى)
(تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فأرقها ... إن التفرق)
قال فانتهرها وقال لها (للمشتاق بكاء
قومي إلى لعنة الله فقالت والله يا مولاي
لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت إلا
أنك تحبه ثم إنها قامت من بين يديه وكان
بين يديه قدح بلور وكان أبوه يحبه فأصابه
طرف رداؤها فانكسر قال إبراهيم بن
المهدي فالتفت إلي وقال يا عمي أرى أن
هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا
أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا
يقول قضي الأمر الذي فيه تستفیان
فقال لي أسمع ما سمعت يا عم ؟ فقلت
ما سمعت شيئا وما هذا إلا توهم فإذا
الصوت قد علا فقال يا عم اذهب إلى بيتك
فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال
فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي
به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن

مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول
إليها اندق لواءه في أول درب منها فتطير
لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول
ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ولا
(أمر يكون مبدلاً
لكن هذا الرمح ضعف منته ... صغر الولاية)
فسر خالد وأمر لأبي (فاستقل الموصل
الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل
الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك
فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه فعلم
أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت إلى
الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال
شاهت الوجوه وتبت الأيدي ويؤتم بغضب
من الله إذا انكسر عود جذع ضعيف

المستطرف [جزء 2 - صفحة 190]

تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وإني
على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب
الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر وإني
لا عجب من لوط وقوله لو أن لي بكم قوة
أو أوي إلى ركن شديد فأى ركن أشد من
الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من
التوجه إلى أمير المؤمنين وقد وليت

عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته
بخلاف ما أمر به رسول الله معاذًا في أهل
اليمن فإنه أمره أن يحسن إلى محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء
إلى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم
وأنا أعلم أنكم تقولون بعدي لا أحسن الله
له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا
أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا
واستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج
بعض ملوك الفرس إلى الصيد فأول من
استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب
للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد
استدعى بالأعور فأمر له بمال فقال لا
حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام
فقال تكلم فقال أيها الملك إنك تلقيتني
فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت
وسلمت فأينا أشأم صباحا على صاحبه ؟
فضحك منه وأمر له بصلة
وحكي أيضا إن صاحب قرطبة أصابه وجع
فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن
وجعه فقالت

هذي الليالي علمنا أن ستطوينا ...)
قال (فشعشعينا بماء المزن واسقينا
فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم
يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات

وحكى أن نور الدين محمودا وهمام الدين
ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا
في الكلام ثم قال محمودا يا من درى هل
نعيش إلى مثل هذا اليوم؟ فقال له همام
الدين قل هل نعيش إلى آخر هذا الشهر
فإن العام كثير قال فاجرى الله على
منطقهما ما كان مقدرًا في الأزل فمات
أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل
تمام العام

المستطرف [جزء 2 - صفحة 191]

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى (إن
في ذلك لآيات للمتوسمين) وقال رسول
الله " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور
الله " وقال علي رضي الله تعالى عنه ما
أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه
وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما على علي رضي
الله تعالى عنه بشيء فلم يعمل به ثم ندم
فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر إلى
الغيب من ستر رقيق
وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان في الحرم
فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته فانفت

نفسى منه فتفرس ذلك منى فقراً)
وأعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم
فأحدوره) فندمت وأستغفرت الله فى
قلبى فتفرس ذلك أيضا فقراً (وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده)

وحكى عن الشافعى ومحمد بن الحسن
أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما إنه نجار
وقال الآخر أنه حداد فسأله عن صنعة
فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار
وحكى ان شخصا من أهل القرآن سأل
بعض العلماء مسألة فقال له إجلس فإنى
أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد
ذلك أنه سافر السائل فوصل إلى
القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية
قال من رآه ولقد رأيتك متكئا على دكة
وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام
عليكم يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم
قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله
أم لا ؟ فقال له لا أذكر منه إلا آية واحدة
وهى قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين) قال فبكيت عليه
وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن
السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن

المستطرف [جزء 2 - صفحة 192]

في الأرض أحزر منه كان ينظر إلى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حذره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول في هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء ما عند الله خير وأبقى فاعلم إن جواره وليمة ولم يدع إليها وإذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ا شهدنا إلا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل وإذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه ؟ فقال الصلاح خير من كل شيء فاعلم أن امرأته قبيحة وإذا رأيت إنسانا يمشي ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث وإذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم أنه في حاجة غني وإذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالي وهو يقول يد لله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على

الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل
الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي
يطول تحديقها يدل على السمع والأذن
الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان
وكانت الفرس إذ تقول فشا الموت في
الوحوش دل على ضيقه وإذا فشا في
الفأر دل على الخصب وإذا نعق غراب
فجاوبته دجاجة عمر الخراب وإذا قوقت
دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله
أعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه أحد أو عنده مفاتيح الغيب لا يعلم إلا
هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب
مبين

وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما عن الرسول أنه قال " أشرف أتني
حملة القرآن وأصحاب الليل وروي أن أم
سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
قالت يا بني لا تكثر النوم بالليل

فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة
مفلسا وكان زمعة بن صالح ليلا طويلا فإذا
أسحر نادى أهله
يا أيها الركب المعرسونا ... أكل هذا الليل
فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع (ترقدونا
فإذا أصبح نادى عند الصباح يحمد القوم
السرى (وأنشدوا)
يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد
(دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ... حظا إذا ما
(هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ)
(المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة)
وقيل أن نومة الضحى (الحشر لكم موعد
تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث
الجنون وأنشد بعضهم
إلا إن نومات الضحى تورث الفتى ...)
وعن (غموما ونومات العصير جنون
العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه
وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال
له قم لا أنام الله عينك أتمام في ساعة
يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العبد ؟
أو ما سمعت ما قالت العرب أنها مكسلة
مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة

أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة
الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة
الخلق هي التي أمر النبي بها أمته فقال
قيلوا فان الشيطان لا تقبل ونومة الحمق
النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو
مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول
لولده لا تصطبج بالنوم فانه شؤم ونكد
وقال الثوري لطبيب دلني على شيء إذا
أردت النوم جاءني فقال أدهن رأسك
وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس
يقول لأن تختلف السياط على ظهري
أحب إلي من أن أنام يوم الجمعة والإمام
يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على
فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم
إن النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى

المستطرف [جزء 2 - صفحة 194]

غيرت موضع مرقيدي ... يوما ففارقني
(السكون)
قل لي فأول ليلتي ... في حفرتي أني
وأنشد أبو دلف (أكون
أمالكتي ردي علي رقاديا ... ونومي فقد
(شردته عن وساديا

أما تتقبن الله في قتل عاشق ... أمت)
وأنشد أبو غانم (الكرى عنه فأحيا الليالي
الثقفي

رقدت رقاد الهيم حتى لو أنني ... يكون)
ف قيل لمن هذا ؟ (رقادي مغنما لغنيت
فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم
عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا
أسود قيل إنه نام اسبوعا وقل إنه تماوت
على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف
تندبوني إذا أنا مت فسجى ونام وندب فإذا
هو قد مات

وأما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو
أنهم قالوا أن النوم هو اجتماع الدم
وانحداره إلى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك
هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من
زعم أن ما يجده الانسان في نومه من
الخواطر انما هو من الأطعمة والأغذية
والطبائع وذهب جمهور الأطباء إلى أن
الأحلام من الأخلاط وان ذلك بقدر مزاج
كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه
الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة
ويرى أنه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت
على مزاجه السوداء رأى في منامه أجداثا
وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء
مفرعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى

الخمير والرياحين وأنواع الملاهي والثياب
المصبغة والذي يقع عليه التحقيق ان
الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين
جزء من النبوة وكان النبي أول ما بدئ به
من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى
رؤيا إلا جاءت مثل فلق

المستطرف [جزء 2 - صفحة 195]

الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من
يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا
تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة
مثل ضرب له
فمن ذلك ما حكى أن النبي رأى في الجنة
غرفا فقال لمن هذه ؟ فقيل أبي جهل بن
هشام فقال ما لأبي جهل والجنة والله لا
يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما
فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين
لما رأى أن كلبا أبقع يلغ في دمه وكان
ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام
بخمسين عاما وكذلك حين قال بأبي بكر
رضي الله تعالى عنه اني رأيت كأنني رقيت
أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين
ونصف فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه

يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف
ورأت عائشة رضي الله تعالى عنها سقوط
ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته
وموت النبي وموت عمر رضي الله تعالى
عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الأمر
كذلك

وحكي أن أم الشافعي رضي الله تعالى
عنه لما حملت به رأت كأن المشتري خرج
من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل
بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر
علمه بأكثر البلاد فكان كذلك
وحكي أيضا ان عاملا أتى عمر رضي الله
تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر
اقتتلا فقال له عمر مع من كنت ؟ قال مع
القمر فقال مع الآية المححوة والله لا
وليت لي عملا فعزله ثم اتفق ان عليا
رضي الله تعالى عنه وقع بينه وبين
معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية
وأما من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن
سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني
اسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا
فقال ما التي تحتك ؟ قال عجلة اشتريتها
وفي رواية جارية وأنا أطؤها فقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 196]

أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها
أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي
خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال
فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع
الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه
رجل فقال رأيت جارة لي قد ذبحت في
بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في
ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل
فاغتم لذلك ثم بلغه أن الرجل قدم في
تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت
وجاءه رجل معه جراب فقال له رأيت في
النوم كأنني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا
فقال له أنت رأيت هذا ؟ قال نعم فقال
لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل
يخنق الصبيان وربما تكون في جرابه آلة
الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب
فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه إلى
السلطان وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت
له رأيت في النوم كأن القمر دخل في
الثريا ونادى مناد من خلق ان اثني ابن
سيرين فقص عليه فتقلصت يده وقال
ويلك كيف رأيتي هذا ؟ فأعادت عليه فقال
لاخته هذه تزعم اني أموت لسبعة أيام

وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات
بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت
كأني أخذ البيض وأقشره فأكل بياضه
وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فأنت
نباش الموتى فكان ذلك

وحكى ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد
تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال
يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف
مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم
وحكى أن رجلا رأى عيسى عليه السلام
فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم
فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك
بقوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم) ولكن هو عائد على الرائي
فكان كذلك وأتى ابنة مغيث أت في المنام
فقال لها

لك البشيري بولد ... أشبه شيء بالاسد)

(... إذا الرجال في كبد

(تغالبوا على بلد ... كان له حظ الأسد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 197]

المختار بن أبي عبيد وذلك في عام الهجرة
وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني

بليت خلف المقام أربع مرات قال كذبت
لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك
فقال يلي أربعة من صلبيه الخلافة وقال
الشافعي رضي الله تعالى عنه رأيت عليا
رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي
ناولني كتبك فناولته إياها فأخذها وبددها
فأصبحت أختا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته
فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا
فإن فإن الشيطان لا يتمثل بي وجاء إلى
النبي فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا
أنظر إليه فضحك رسول الله وقال بأي
عين كنت تنظر إلى رأسك فلم يلبث
رسول الله أن توفي وأولوا رأسه بنبيه
ونظروا إليه باتباع سنته وقال رجل لعلي
بن الحسين رأيت كأنني أبول في يدي
فقال تحتك محرم فنظروا فإذا بينه وبين
امراته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله
عنه رأيت كأنني نبشت قبر رسول الله
فضممت عظامه إلى صدري فهالني ذلك
فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لأحد
من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا
قلت أنا رأيتها قال إن صدقت رؤياك
لتحيين سنة نبيك وقال النبي الرؤيا

الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت إلى ربي سنة أن يرين أبي في النوم حتى رأيتته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك إنه سألني عن عقاب بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 198]

الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة ما لم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فإنه قال (وخذ بيدك ضغثا) (فاضرب به ولا تحنث) وكان إذا أراد غزوة وروي غيرها وكان يقول " الحرب خدعة " ولما أراد عمر

رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى
ماء فأتوه بقدرح فيه ماء فأمسكه في يده
واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى
تشربه فألقى القدرح من يده فأمر عمر
بقتله فقال أولم تؤمني ؟ قال كيف أمنتك
قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك
لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر
قاتلك الله أخذت مني أمانا ولم أشعر
وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا
بالبطائف معاوية وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع
وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان
يقال ليس العاقل الذي يحتال للأمور إذا
وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للأمور أن
لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم
النصراني لو أسلمت فقال ما زلت محبا
للإسلام إلا أنه يمنعني منه حبي للخمر
فقال أسلم وأشربها فلما أسلم قال له قد
أسلمت فان شربتها حديناك وإن ارتددت
قتلناك فاختر لنفسك فاختر الاسلام
وحسن إسلامه فأخذه بالحلية

وقيل دليت من السماء سلسلة في أيام
داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة
التي في وسط بيت المقدس وكان الناس
يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو
صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها إلى أن
ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك أن
رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه
في عكازة ثم أن صاحبها طلبها من الذي
أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند
السلسلة فقال المدعي اللهم إن كنت
صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه
فمسها فدفع المدعى عليه العكازة
للمدعي وقال اللهم إن كنت تعلم إنني
رددت الجوهرة إليه فلتدن مني السلسلة
فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت
السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت
بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى إلى داود
عليه الصلاة والسلام (أن أحكم بين الناس
بالبينة واليمين) فبقي ذلك إلى قيام
الساعة وكان المختار بن أبي عبيدة
الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة
العرب قيل أنه وجه إبراهيم بن الأشتر إلى
حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من
خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له
إن رأيت الأمر عليكم فارسلها ثم قال

للناس إني لأجد في محكم الكتاب وفي
اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة
غضاب صعب تأتي في صور الحمام تحت
السحاب فلما كادت الدائرة تكون على
أصحابه عمد ذلك الرجل إلى الحمامة
فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة
وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن
أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان
فعدا الذئب على صبي إحداهما فأكله
فاختصما في الصبي الباقي إلى داود عليه
الصلاة والسلام فقال كيف أمركما ؟
فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما
فاختصما إلى سليمان عليه الصلاة
والسلام فقال ائتوني بسكين أشق الغلام
نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى
أتشقه يا نبي الله ؟ قال نعم قالت لا تفعل
ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك
وقضى به لها وجاء رجل إلى سليمان بن
داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبي الله
إن لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف
السارق فنأدى الصلاة جامعة ثم خطبهم
وقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 200]

في خطبته وإن أحدكم ليسرق أوز جاره
ثم يدخل المسجد والريش على رأسه
فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه
فهو صاحبكم
وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب
امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت إليهما أن
يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث
تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة
ذلك الشاب وعين جماله علم أنها تؤثره
عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت
جمالا فهل عندك غيره هذا ؟ قال نعم
فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة
كيف حسابك مع أهلك ؟ قال ما يخفى
علي منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من
الخردل فقال المغيرة لكني أضع البدره
في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون
فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها
فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا
يحاسبني أحب إلى من هذا الذي يحصي
علي مثقال الذرة فتزوجت المغيرة
وبلغ عضد الدولة أن قوما من الأكراد
يقطعون الطريق ويقيمون في جبال
شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض

التجار ودفن إليه بغلا عليه صندوقان فيهما
حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف
فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع
القافلة ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء
الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام
القافلة فنزل القوم فأخذوا الأمتعة
والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به
الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه
أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم
فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم
وأخذ أرباب الأموال أموالهم
وأتي لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة
فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء
فجئ له بكوز فرماه بين يديه فارتاع
أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب
إلى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت
المال وتلذذت به وتهدده فأقر فسئل عن
ذلك فقال إن اللص قوي القلب والبرئ
يجزع ولو تحرك عصفور لفرع منه
وقصد رجل الحج فاستودع إنسانا مالا
فلما عاد طلبه منه

فجده المستودع فأخبر بذلك القاضي
أياسا فقال أعلم بأنك جئتني قال لا قال
فعد إلي بعد يومين ثم إن القاضي أياسا
بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له
أعلم أنه قد حصلت عندي أموال كثيرة
لأيتام وغيرهم وودائع للناس وإني مسافر
سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما
بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا
وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال
وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب
الوديعة فقال له القاضي أياس امض إلى
صاحبك وقل له إُدفع إلي مالي وإلا
شكوتك للقاضي أياس فلما جاء وقال له
ذلك دفع إليه ماله واعتذر إليه فأخذه وأتى
إلى القاضي أياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى
الرجل وتبعه الحمالون لطلب الأموال التي
ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن
أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر
امض لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك
ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال
إبرويز للداخل عليه ليقتله إني لأدلك على
شيء فيه غناك لوجوب حَقك علي قال
وما هو؟ قال الصندوق الفلاني فلما قتله
وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج
الصندوق فإذا فيه حق فيه حب ورقة

مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة
افتض عشرة أ بكر و كان لشيرويه غرام
في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته
فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من
قاتله ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة
بولاية العهد تخلف رجل مذكور من
الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت ؟
فقال عاقني عائق فقال اقرأوا عليه كتاب
البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة
في عنقي إلى قيام الساعة فلم يفهم
الرشيد ما أراد و ظن أنه إلى قيام الساعة
يوم الحشر وما أراد الرجل إلا قيامه من
المجلس وقال المغيرة بن شعبة لم
يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب
فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها فقال
أيها الأمير لا خير لك فيها فقلت ولم ؟
قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها
فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني
أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال نعم رأيت
أباها يقبلها وأتى رجل إلى الأحنف فلطمه
فقال ما حملك على هذا ؟ فقال جعل

لي جعل على أن أطم سيد بني تميم
فقال لست بسيدهم عليك بحارثة ابن
قدامة فانه سيدهم فمضى إليه فلطمه
فقطعت يده

وقال الشعبي وجهني عبد الملك إلى ملك
الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت
؟ قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب إلى
عبد الملك رقعة ودفعها إلي فلما قرأها
عبد الملك قال لي أتدري ما فيها ؟ قلت لا
قال فيها " العجب لقوم فيهم مثل هذا
كيف يولون أمرهم غيره " قال أتدري ما
أراد بهذا ؟ قلت لا قال حسدني عليك
فأراد أن أقتلك فقلت إنما كبرت عنده يا
أمير المؤمنين لأنه لم يترك شيئاً إلا
سألني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما
قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما
عدا ما في نفسي ولما ولي عبد الملك بن
مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شاباً
ظريفاً غزلاً بعث معه بن زنباع وكان شيخاً
متورعاً فثقل على بشر مرافقته فذكر
ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه إلى أن
دخل بيت روح بن زنباع ليلاً في خفية
فكتب على حائط قريب في مجلسه هذه
الآيات

يا روح من لبنيات وأرملة ... إذا نعاك

(لأهل المغرب الناعي
إن ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل)
فتخوف من ذلك (بنفسك يا روح بن زنباع
وخرج من الكوفة فلما وصل إلى عبد
الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه
من شدة الضحك قال ثقلت على بشر
وأصحابه فاحتالوا لك
ومن الحيل الطريفة ما حكى أن النبي لما
فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون
جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول
من أسلم في تلك الأيام وشهد خيبر فقال
يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند
صاحبتي أم شيبه ولي مال متفرق عند
تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود
إلى مكة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 203]

أسبق خبر إسلامي إليهم فإني أخاف إن
علموا بإسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة
فأذن لي لعلني أخلصه فأذن له رسول الله
فقال يا رسول الله إني احتاج إلى أن
أقول فقال له رسول الله قل وأنت في
حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت إلى

الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله سار إلى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا قد سار إلى خيبر قال قلت إنه سار إلى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتي يقولون إيه يا حجاج؟ قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فإنني أريد أن أقدم خيبر فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك فقاموا معي فجمعوا لي مالي كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل علي حتى وقف إلى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر؟ فقال نعم والله قال قلت استأخر عني حتى الفاك على

خلاء فإني في جمع مالي كما ترى
فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل
شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج
لقيت العباس فقلت له احفظ علي حديثي
يا أبا الفضل فإني أخشى أن يتبعوني
فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال
لك علي ذلك قال قلت والله ما تركت ابن
أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعني
صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها
وصارت له ولأصحابه قال أحق ما تقول يا
حجاج ؟ قال قلت أي والله ولقد أسلمت
وما جئت إلا مسلما لأخذ مالي خوفا من أن
أغلب عليه فإذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك
فهو والله على ما تحب قال فلما كان في
اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق
بالطيب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 204]

وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة
فطاف بها فلما رآوه قالوا يا أبا الفضل
هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا
والذي حلفتكم به لقد افتتح محمد خيبر
وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز

أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه
قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال الذي
جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم
مسلمًا وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمداً
وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله
أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال
ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل
الحجاج بفطنته واحتياله إلى تخليصه
وتحصيل

ماله ولما اجتمعت الأحزاب على حرب
رسول الله عام الخندق وقصدوا المدينة
وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير
من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني
النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا
رسول الله ومن معه من المسلمين واشتد
الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف
على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى ()
إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنوناً هنالك ابتلى
المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً) فجاء
نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني إلى
رسول الله فقال يا رسول الله إني قد
أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي
فمرني بما شئت فقال له رسول الله خذ

عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج
نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة
وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني
قريظة قد علمتم ودي إياكم وخاصة ما
بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا
بمتهم فقال لهم إن قريشا وغطفان
ليسوا كأنتم فإن البلد بلدكم وبه أموالكم
وأبنائكم ونسائكم لا تقدرّون على أن
تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا
وغطفان قد جاؤا الحرب محمد وأصحابه
وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم
ونسائهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لأنهم
إن رأوا فرصة إغتموها وإن كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 205]

ببلدكم ولا طاقة لمن به إن خلا بكم فلا
تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا
من أشرفهم يكونون بأيديهم ثقة لمن
على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت
بالرأي ثم أتى قريشا فقال لأبي سفيان
بن حرب وكان إذ ذاك قائد المشركين من
قريش ومن معه من كبراء قريش قد

علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه قد
بلغني أمر وأحبت أن أبلغكموه نصحا لكم
فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا أن
معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما
فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا
إليه يقولون إنا قد ندمنا على نقض العهد
الذي بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك
من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا
من أشrafهم فنسلمهم إليك فتضرب
رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم
فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث
إليكم يهود بني قريظة يلتمسون منكم
رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم
رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان
فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم
فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو ورس
بني غطفان إلى بني قريظة يقولون لهم
إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر
فاعتدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ
فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم إن
اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه
شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا
حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون
بأيدينا ثقة لنا حتى تناجز محمدا فإنا
نخشى إن دهمتكم الحرب واشتد عليكم

القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا
والرجال في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما
رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة
قالت قريش وغطفان والله إن الذي
حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا
إلى بني قريظة يقولون إنا لا ندفع إليكم
رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون
القتال فأخرجوا وقتلوا فقالت بنو قريظة
حين انتهت إليهم الرسل إن الكلام الذي
ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم
إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها
وإن كان غير ذلك شمروا إلى بلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم
فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا لا نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم
فخذل الله تعالى بينهم وأرسل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 206]

عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا
من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن
مسعود هذه الفتنة وهدها إلى اليقظة
التي عم نفعها وحسن وقعها
وأما ما جاء في التيقظ والتبصر في

الأمر فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه
وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من
كيدته له وقطع عنه أطماع الماكرين به
وقالوا اليقظ حارس لا ينام وحافظ لا
ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن
من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر
وقيل إن كسرى أنو شروان كان أشد
الناس تطلعا في خفايا الأمور وأعظم
خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا
عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على
الرعايا والجواسيس في البلاد ليقف على
حقائق الأحوال ويطلع على غوامض
القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب
والمصلح فيجازيه الاحسان ويقول متى
غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من
الملك إلا اسمه وسقطت من القلوب
هيئته

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه
قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في ليلة من الليالي يطوف
يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من
الشعر مضروبا فلم يكن قد رآه بالأمس
فدنا من ه فسمع فيه أنين امرأة ورأى
رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل ؟
فقال له رجل من البادية قدمت إلى أمير

المؤمنين لأصيب من فضله قال فما هذا
الأنين ؟ قال امرأة تتمخض قد أخذها
الطلق قال فهل عندها أحد ؟ قال لا
فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء إلى
منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن
أبي طالب بنت فاطمة الزهراء رضي الله
عنهما هل لك في أجر قد ساقه الله تعالى
لك ؟ قالت وما هو ؟ قال امرأة تتمخض
ليس عندها أحد قالت إن شئت قال فخذني
معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن
وأتيتني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به
فحمل القدر ومشيت خلفه حتى أتى البيت
فقال ادخلي إلى المرأة ثم قال للرجل
أوقد لي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ

المستطرف [جزء 2 - صفحة 207]

النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال
لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت
أم كلثوم رضي الله عنها بشر صاحبك يا
أمير المؤمنين بسلام فلما سمعها الرجل
تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال
واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا
تفعل بنفسك ؟ قال يا أبا العرب من ولي

شيئا من أمور المسلمين ينبغي له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فإنه عنها مسؤول ومتى غفل عنها خسر الدين والآخره ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما في البرمة وفي غد انت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال وإقامة قسطاس العدل وإزاحة أسباب الفساد وإصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى أنه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوق على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه إناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل إليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهمزوا فمسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وإني تائب فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على خطيئتك

فقال يا أمير المؤمنين إن كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت فقال يا أمير المؤمنين إن كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال (ولا تجسسوا) وأنت تجسست وقال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وأنت أتيت من السطح وقال تعالى (ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود فأستتوبه فاستحسن كلامه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 208]

وله رضي الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه
وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان ابن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف إلي وأنا

أعرف بك منك بنفسك ؟ والله إني لأعرفك
وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك
وجدتك وأعرف هذه البردة التي عليك
وهي لفلان وقد أعارك إياها فبهت الرجل
وارتعد حتى كاد يغشى عليه
ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد
الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك
بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك
الفريق إلا المنصور ثاني خلفاء بني
العباس ولي الخلافة بعد أخيه السفاح
وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون
وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي
من يكشف له حقائق الأمور والرعايا
فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات
ولقد ابتلي في خلافته بأقوام نازعوه
وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا
أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما
ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع
قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون
فعرف من انطوى على خلافه فعالجه
باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط
رؤوس عنادهم بأسيافه وكان بكمال
يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه
ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه
فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب

وقرر قوا عدها وأحكمها بأوثق الأسباب
فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة
الأزدي قال دخلت مع الجند على المنصور
فارتابني فلما خرج الجند أدناني وقال لي
من أنت ؟ فقلت رجل من الأزدي وأنا من
جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر ابن
حفص فقال إني لأرى لك هبة وفيك نجابة
وإني أريدك لأمر وأنا به معنى فإن كفيته
رفعتك فقلت إني لأرجو أن أصدق ظن
أمير المؤمنين فقال أخف نفسك واحضر
في يوم كذا قال فغبت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 209]

عنه إلى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك
عنده أحدا ثم قال لي اعلم أن بني عمنا
هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتيالهم ولهم
شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم
والطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي
والطافا وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله
بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم
عليه متخشعا والكتب على السنة أهل تلك
القرية والالطاف من عندهم إليه فإذا رآك

فإنه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم
فأصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني
سرا وسيروا معي الطافا وعينا وكلما
جبهك وأنكر أصبر عليه وعاوده واكشف
باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين
والألطاف وتوجهت إلى جهة الحجاز حتى
قدمت على عبد الله ابن الحسن فلقيته
بالكتب فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف
هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف
وعاودته القول وذكرت له اسم القرية
وأسماء أولئك القوم وأن معي الطافا
وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي
قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته
الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب إلى أحد
ولكن أنت كتابي إليهم فاقرئهم السلام
وأخبرهم أن ابني محمدا وإبراهيم خارجان
لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة
فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على
المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور
إني أريد الحج فإذا صرت بمكان كذا وكذا
وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فإني
اعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام
فإذا فرغ من أكله ونظرت إليه فتمثل بين
يدي ووقف قدامه فإنه سيصرف وجهه
عني فدر حتى تقف من ورائه واغمز

ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك
ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل
ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا قارب
البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبد الله
إلى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء
فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع
ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا
أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من
العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء ولا
تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير

المستطرف [جزء 2 - صفحة 210]

المؤمنين قال عقبه فلحظني المنصور
بعينه وقمت حتى وفقت بين يدي عبد الله
بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه
وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه
وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي
المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين
أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله
إن لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب
ولديه محمد وإبراهيم ويستعلم أخبارهما
قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني
المنصور يوما فإذا بين يديه جارية صفراء

وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها
ويلك إصدقيني فوالله ما أريد إلا الألفة
ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتبعن البر
إليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله
بن الحسن بن علي ابن أبي طالب وهي
تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما
بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا
عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال
ما دواء مثلها ؟ قالوا شم الطيب وصب
الماء البارد على وجهها وأن تسقى
السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور
بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت
لا أعلم فلما رأى إصرارها على الجحود
قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما
سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا
أمير المؤمنين تلك من بني سليم قال
صدقت هي والله أمتي إبتعتها بمالي
ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة
شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها
أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف
أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين
فلانا البقال ؟ قالت نعم يا أمير المؤمنين
هو في بني فلان قال صدقت هو والله
غلامي دفعت إليه مالا وأمرته أن يتناع به
ما يحتاج إليه من الأمتعة وأخبرني أن أمة

لكم يوم كذا وكذا جاءت إليه بعد صلاة
المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما
تصنعين بهذا ؟ قالت كان محمد بن عبد
الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية
البيقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ
النساء ما يحتجن إليه عند دخول أزواجهن
من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام
من المنصور ارتعدت من شدة الخوف
وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه
المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 211]

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب
والوحوش والطيور والهوام والحشرات وما
أشبه ذلك مرتبا على حرف المعجم
من السباع والأنثى (الأسد) (حرف الهمزة)
أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها
أسامة والحرث وقسورة والغضنفر
وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو
الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع
منها ما وجهه وجه إنسان وشكل جسده

كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنه ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة أيام ثم تفتتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه إلى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال أنه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم
سأترك حبكم من غير بغض ... وذاك لكثرة
(الشركاء فيه)
إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدي
(ونفسي تشتهييه)
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان
وإذا أكل نهش نهشا (الكلاب يلغن فيه
وريقه قليل جدا و لذلك يوصف بالبحر
وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته
الإقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالغير
ومن جنبه أنه يفر من صوت الديك
والسنور

المستطرف [جزء 2 - صفحة 212]

ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصا إذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضىء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى وروي أنه لما تلا رسول الله (والنجم إذا هوى) قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في غير الى الشام حتى إذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زار الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ؟ فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى إنتهى اليه فضغطة ضغطة كانت إياها فسمع وهو بأخر رمق يقول ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شמוש مصلخد مكابد ... جريء)

(على الأقران للقرن قاهر)

برائته شثن وعيناه في الدجى ... كجمر)
(الغضى في وجهه الشر ظاهر
يديل بأنياب حداد كأنها ... إذا قلص)
فائدة إذا أقبلت على (الأشداق عنها خناجر
واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من
شر الأسد وسبب ذلك على ما قيل إن
بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على
يد مولود فجعل يأمر بقتل الأطفال
فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر
فألقت فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه
وقيل إن بختنصر توهم ذلك في دانيال
فضري له أسدين وجعلهما في الجب
وألقاه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 213]

فلم يؤذياه وصار يبصبصان حوله
ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن
يقم ثم انتهى الطعام والشراب فأوحى
الله تعالى إلى أرمياء بالشأم أن اذهب الى
أخيك دانيال يحب كذا بمكان كذا قال
أرمياء فسرت إلى ذلك الموضع فلما
وقفت على رأس الجب ناديته فعرفني
فقال من أرسلك إلي ؟ قلت أرسلني الله

إليك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي وثق به لا يكله إلى غيره والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع وحكي أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ وحكي أن إبراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسج ؟ فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في

الأرض ثم شكوا إليه المعذرة فأمر الله
تعالى الخنزير لا فعطس فخرج منه الفأر
فلما كثر وزاد ضرره فشكوا ذلك لنوح عليه
الصلاة واللام فأمر الله سبحانه وتعالى
الأسد فعطس فخرج منه الهر فحجب
الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيته عليه
الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من
السباع وكل ذي مخلب من الطير

المستطرف [جزء 2 - صفحة 214]

خواصه فمن خواصه أن صوته يقتل
التماسيح وشحمه من طلى به يده لم
يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود
ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة
من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا
أرضة وإذا وضع على جلد غيره من السباع
تساقط شعره وهو من الحيوان الذي
يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك
كثرة سقوط أسنانه
قيل ما خلق الله شيئاً من الدواب (الإبل)
خير من الإبل إن حملت أثقلت وإن سارت
أبعدت وإن حلبت أروت وإن نحرت أشبعت
وفي حديث (الإبل عز لأهلها والغنم بركة

والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم
القيامة) وهي من الحيوان العجيب وان
كان عجه قد سقط لكثرة مخالطته الناس
وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل
ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت
فأرة فجذبتة فسار معها القطار بواسطة
جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها
الله تعالى بالسفن فقال تعالى (وعليها
وعلى الفلك تحملون) ولما كانت مراكب
البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير
جعل الله تعالى لها صبيرا على العطش
حتى قيل إنه يرتع ظمؤها الى عشر وفي
الحديث (لا تسبوا الإبل فانها من فنفس
الله تعالى أي مما يوسع به على الناس)
حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا
الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب
الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من
الطحول مثل ما للجمل عند هيجانه فإنه
يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو
حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل
أكله ويخرج له عند رغرئه شقشقة لا
تعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو
من الأحرار حتى قيل إنه لا ينزو لا على
أمه ولا على أخته حتى قيل إن بعض العرب
ستر ناقته بثوب ثم أرسل عليها ولدها

فلما عرف ذلك عمد إلى أحليله فأكله ثم
حقد على صاحبه حتى قتله وليس له
مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على
كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع
الغشاوة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 215]

في العين كحلا وفي معدته قوة حتى أنها
تهضم الشوك وتستطيعه ويحل أكله بالنص
والإجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة
والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك أنه كان
يسكن البوادي فاشتكى عرق النساء فلم
يجد ما يلئمه إلا ترك أكل لحومها فلذلك
حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها
فاختلف العلماء في ذلك فذهب الأكثرون
إلى أنه لا ينقض وعليه الخلفاء الأربعة
وابن مسعود وأبي وابن عباس وأبوا
الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو
أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك
والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف
في ذلك أحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى
وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي
وهو مذهب الشافعي القديم

خواصه قال ابن زهير وغيره أكل لحمه
يزيد في الباه وفي الإنعاض بعد الجماع
وبوله يفيق السكران ووبره إذا أحرق وذر
على دم سائل قطعه وقراده إذا ربط على
كم عاشق يزول عشقه
بفتح الهمزة والراء دوية صغيرة (الأرضة)
كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما
كان فعلها في الأرض أضيف اسمها إليها
قال القزويني إذا أتى على الأرض سنة
نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال
إنها الدبة التي دلت الجن على موت
سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها
أنها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها
مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله إلى
أعلاه وله في إحدى جهاته باب مربع ومنه
تعلم الأوائل وضع النواويس لموتاهم
والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من
خلفها ويحتملها ويمشي بها إلى حجره
لأنه إذا أتاها مستقبلا لا يغلبها
حيوان شبه العناق قصير اليدين (الأرنب)
طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخر
قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى
وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى
ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى ومن عجائبها
أنها

